الامام أبو الحسن الأشعري رحمه اللّٰه

امام أهل السنة والجماعة

ومنهجه الوسطي في العقيدة

الشيخ أبي بكر أحمد

أمين عام جمعية علماء أهل السنة والجماعة بالهند

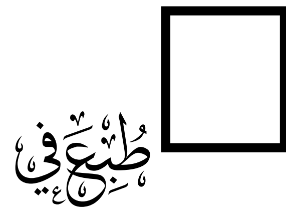


ملتقى علماء أهل السنة والجماعة على ساحة كيرالا

الامام أبو الحسن الأشعري رحمه الله
امام أهل السنة والجماعة
ومنهجه الوَسطي في العقيدة

الشيخ أبي بكر أحمد

أمين عام جمعية علماء أهل السنة والجماعة بالهند



دار المركز للبحوث الإسلامية

جامعة مركز الثقافة السنية

مُقَدِّمَة

الحمد لله الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، ليس كمثله شيء وهوالسميع البصير ، هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ، المنـزه عن الحيز والصورة ، والمكان والزمان وهو الذي خلق الزمان وكون الأكوان يدبر كل شيء وهو اللطيف الخبير ، خلق العرش والكرسي واللوح والقلم والسماوات والأرض والعَلَم ، وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ، وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ، وهو الأول ليس قبله شيء وهو الاخر وليس بعد شيء ....

الصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد النبي الأمين ﷺ الذي أُرسل ليبين الحق من الباطل ، فبلّغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمّة ، وجاهد في الله حق الجهاد ، حتى تركنا على بيضاء ليلُها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعده ﷺ إلا هالك.... وعلى آله وصحبه ومن تبعهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين ، أما بعد ؛

فان الدين الاسلامي هو الذي ارتضاه ربه لعباده دينا وسنةً ، ولا يرضى غير الاسلام دينا ، ومن ابتغى وآثر دينا غير الذي أدانه الله وارتضاه فلن يقبل منه ، الئك من الخاسرين في الآخرة ، قال تعالى (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)[سورة آل عمران ، الآية : ١٩] (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [سورة آل عمران ، الآية : ٨٥]

وقال تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)[سورة المائدة الآية :٣]

وهذا الدين الكامل لا يختلف اثنان في أنه انما هو تلك المجموعة العقدية والعملية التي جاء بها محمد المصطفى المعصوم ﷺ من عند ربه ، (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[سورة الحشر الآية :٧] (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝)[سورة النساء الآية : ١٣ ، ١٤]

والملة التي تنتسب الى هذا الدين العظيم طبعا مازالت تتعرض للافتراقات والتشعب والخلافات ولم تزل ، وهذه سنة الله في الديانات السماوية ،

وروى الطبراني عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ﴿ افْتَرَقَتْ بنو إِسْرَائِيلَ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً تَزِيدُ عَلَيْهَا أُمَّتِي فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلا السَّوَادَ الأَعْظَمَ ﴾ (١) و في رواية له ﴿ فَإِنَّ بني إِسْرَائِيلَ افْتَرَقُوا عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَالنَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهُمْ عَلَى الضَّلالَةِ إِلا السَّوَادَ الأَعْظَمَ ﴾ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَنِ السَّوَادُ الأَعْظَمُ ؟ قَالَ ﴿ مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ ، وَأَصْحَابِي مَنْ لَمْ يُمَارِ فِي دِينِ اللَّهِ ، وَمَنْ لَمْ يُكَفِّرْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ بِذَنْبٍ غُفِرَ لَهُ ﴾ (٢) وروى أيضا عن كَثِير بن عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ﴿ ... أَلاَ إِنَّ بني إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى مُوسَى سَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا ضَالَّةٌ ، إِلا فِرْقَةٌ وَاحِدَةٌ الإِسْلامُ وَجَمَاعَتُهُمْ ، ثُمَّ إِنَّهَا افْتَرَقَتْ عَلَى عِيسَى بن مَرْيَمَ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا ضَالَّةٌ إِلا وَاحِدَةٌ الإِسْلامُ وَجَمَاعَتُهُمْ ثُمَّ إِنَّكُمْ تَكُونُونَ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلا وَاحِدَةٌ الإِسْلامُ وَجَمَاعَتُهُمْ ﴾ .

وفي سنن أبى داود عن معاوية بن أبى سفيان أنه قام فينا فقال : ألا إن رسول الله ﷺ قَامَ فِينَا فَقَالَ ﴿ أَلاَ إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِى النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِى الْجَنَّةِ وَهِىَ الْجَمَاعَةُ ﴾ (٣)

وجاء في سنن الترمذى عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ ﴿ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِى مَا أَتَى عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلاَنِيَةً لَكَانَ فِى أُمَّتِى مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ وَإِنَّ بَنِى إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِى عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِى النَّارِ إِلاَّ مِلَّةً وَاحِدَةً قَالُوا وَمَنْ هِىَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِى ﴾. (٤)

« »

لقد تكاثرت طرق حديث افتراق أمة الإجابة على فرق عديدة – تزيد فرقة كما زادتها الأمم السالفة – حتى أقره المبتدعة وصححوه .

(١) المعجم الكبير للطبراني

(٢) المعجم الكبير للطبراني

(٣) سنن أبى داود : باب شَرْحِ السُّنَّةِ

(٤) سنن الترمذى : باب مَا جَاءَ فِى افْتِرَاقِ هَذِهِ الأُمَّةِ

ولكن الأمر الذي ما زال موضع نقاش هو " من هم أهل الفرقة الناجية من بين أكثر من سبعين فرق ؟ " ونرى الامام حجة الاسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله في "إحياء علوم الدين" ومحمد بن عبد الكريم الشهرستاني في "الملل والنحل" يروي عن الصادق المصدوق ﷺ ﴿ ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، الناجية منها واحدة ، والباقون هلكى ﴾ قيل : ومن الناجية ؟ قال ﴿ أهل السنة والجماعة ﴾ قيل : وما السنة والجماعة ؟ قال ﴿ مَا أَنَا عَلَيْهِ ، وَأَصْحَابِي ﴾ (١)

وحكى الامام التفتازاني رحمه الله انه سئل أنس بن مالك ﷺ عن السنة والجماعة فقال " أن تحب الشيخين ولا تطعن في الختنين وتمسح على الخفين " (٢)

ومن هنا ندرك ان اطلاق " أهل السنة والجماعة " ليس بدعا من القول بل انه تسمية من الصادق المصدوق والحبيب المصوم ﷺ ، اضافة الى ان حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس ﷺ والذي شهد له النبي ﷺ بأنه رئيس المفسرين ودعاله بذلك في حديث رواه الحاكم قال ﴿ اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ﴾ (٣) قد فسر قوله تعالى (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ....)[سورة آل عمران ، الآية :١٠٦] قال (تَبْيَضُّ وُجُوهُ)أهل السنة والجماعة (وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ)أهل البدع والضلالة (٤) ، ولا يمكن أن يصدر هذا التفسير من عند نفس ابن عباس ﷺ ، علما بأن تفسير القرآن حسب الهوى ممنوع ، قال رسول الله ﷺ ﴿ من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار ﴾ (٥) وفي رواية ﴿ ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار ﴾ ﴿ مَنْ قَالَ فِى الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ﴾ (٦)

وقديما كان المسلمون – بمن فيهم أهل القرون الثلاثة الأولى المفضلة والذين وصفهم رسول الله ﷺ بأنهم من خير القرون – يطلقون اسم " أهل السنة والجماعة " على من يعتصم بحبل الدلائل الشرعية ، فمعنى قول من قال " فسموا أهل السنة والجماعة " أي استمر ذلك الاسم الذي سمابه ﷺ واستعمله أصحاب أهل القرون الأولى المفضلة وأطلقها على من تمسك منهج السلف الصالح من التمسك بالقرآن والسنن والآثار المروية عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه رضوان الله تعالى عليهم ، ليتميز عن مذاهب المبتدعة وأهل الأهواء .

---

(١) الملل والنحل – ١ / ٢٠ ، و إحياء علوم الدين – ٣ / ٢٣٠

(٢) شرْحُ العقائد النسفي : ١٦٤

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم ذكر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب

(٤) تفسير الدر المنثور ، وتفسير ابن أبي حاتم ، وابن كثير ، والخازن ، وابن عجيبة ، وفتح القدير ، مجموع فتاوي ابن تيمية

(٥) تفسير الرازي ، مجموع فتاوى ابن تيمية

(٦) سنن الترمذي : باب مَا جَاءَ فِى الَّذِى يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ

ومن المرموق ان كل أو جُلَّ فرقة انحرفت عن المحجة البيضاء انحرفوا جراء اسائتهم في فهم النصوص الواردة في أسماء الله تعالى وصفاته ، ومنهم من أنكرها أصلا ـ وهم الجهمية والمعتزلة والباطنية ـ ومنهم من أثبتها لله ولكن شبهوها بصفات المخلوقين وهم المشبهة والمجسمة والكرامية والظاهرية . فالطائفة الأولى " معطِّلة " لأنهم يعطلون ما اثبته الله لنفسه من الصفات والثانية " مشبِّهة " او " مجسِّمة " او " ظاهرية " حيث انهم يشبهون صفات الله بصفات الخلق ويثبتون له تعالى جسما كأجسام الخلق .

وانكرها المنكرون فرقا من وجود القدماء مع الله؛ حيث لوكان الصفات يلزم ان تكون قديمة فتوجد مع الله قديم آخر وهذا محال؛ ولأن هذه الصفات موصوف بها الخلق ايضا فلا تنسب الى الله الصفات التي ينسب الى الخلق .

والمثبتون يقولون ان ذات الله سبحانه وتعالى قديم وصفاته كذلك. حيث ان الذات المتصفة بالصفات القديمة قديم فلا يتطرق اليه الشرك. واضافة الى ذلك ان انكار الصفات يخالف العقل والنقل والنقل مثل (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ)(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير)وغير ذلك مما لا يقف عنه حد .

وأما العقل فيحكم بأن الشيئ لا يكون الا متصفا بصفة ، على طريق المثال : لا يقال ان الله ليس قديما ولا حادثا ، والحدوث فى حقه محال. فلا يبقى الا ان يكون قديما. هكذا جميع الصفات لا يقال ان الله ليس عالما ولاجاهلا؛ واذا كان الجهل فى حقه محالا فلا يبقى الا انه تعالى عالم ، الا ان صفات الله يختلف عن صفات المخلوق بأن صفات المخلوق مفتقرة الى الله ، ومستمدة منه تعالى ، وانها حادثة وسوف تتعرض للفناء؛ والى ذلك ان صفات الخلق عطائية يعطيها الله لمن يشاء ويمنعها عمن يشاء. واما صفاته تعالى فلا يفتقر الى شيئ بل والأشياء تفتقر اليه وانها قديمة باقية قائمة بذاته تعالى .

قال الامام الرازي رحمه الله في كتابه اللوامع البينات شرح أسماء الله الحسنى : اعلم أن من الناس من نفي ثبوت الأسماء لله تعالى وسلم ثبوت الصفات ، ومنهم من عكس — سلم ثبوت الأسماء وأنكر ثبوت الصفات ، ومنهم من اعترف بالأسماء والصفات لله تعالى ؛ أما الذين نفوا ثبوت الأسماء وسلموا ثبوت الصفات فهذا هو قول كل من يقول : حقيقة الحق تعالى غير معلومة للخلق والبشر ، واحتجوا عليه بأن حقيقته غير معلومة للخلق واذا كان كذلك لم يكن له اسم .... الخ (١)

أما عقيدة أهل الحق وهي أن الله تبارك وتعالى متصف بصفات ، وأن هذه الصفات تناسب مع ذاته المقدسة وتليق بها ، وهو متصف بكل كمال الهي ، على حين انه متنـزه عن كل نقصان ، ولا يُجوِّزون أن يصف اللهَ تعالى بشيء يجعله شبيها بخلقه ؛ فالله متصف بالصفات العشرين اللائقة بكمال الله وجلاله ، لأنها ثابتة بالنقل والعقل ثبوتا قطعيا محكما ، وبما أنها قطعية الدلالة من حيث النصوص لا تؤول بل تحمل على الحقيقة جزما ، لما أنها لا توهم النقص في حقه ﷻ ، وهذه الصفات قد ثبتت بالبراهين العقلية كما ثبتت بالنصوص القطعية ، فهي واجبة لله تعالى .

---

(١) اللوامع البينات شرح أسماء الله الحسنى : ٣٢

هذه الصفات اذاكانت بالنسبة الى الخلق فهو الأفعال اما افعال الله وهي الصفات نفسها ، وهي تنقسم الى أربعة أقسام ،

صفة نفسية : نسبة للنفس . أي الذات لأنها تتعلق بكينونة الذات المقدسة ويدل الوصف بها على نفس الذات ، وهذه صفة لاتعقل الذات بدونها وهي واحدة "الوجود"

صفات سلبية : نسبة للسلب . أي النفي ؛ سميت سبيلية لأنها نفت عن الله تعالى ما لا يليق بجلاله. وهي خمس : **القدم ، والبقاء ، والمخالفة للحوادث ، والقيام بالنفس ، والوحدانية .**

صفات المعاني : سميت بالمعاني لأنها أثبتت لله تعالى معاني وجودية قائمة بذاته لا ئقة بكماله . وهي سبع : **القدرة ، والإرادة ، والعلم ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والكلام .**

صفات معنوية : نسبة للسبع المعاني التي هي فرع منها . وسميت معنوية لأنها لازمة للمعاني. وهي : **كونه تعالى قادرا ، وكونه مريدا ، وكونه عالما ، وكونه حيا ، وكونه سميعا ، وكونه بصيرا ، وكونه متكلما.**

وحكمة ذكر هذه الصفات المعنوية مع كونها داخلة في صفات المعاني المذكورة :

ذكر العقائد على الوجه التفصيلي . لأن خطر الجهل فيه عظيم .

الرد على المعتزلة ومن لف لفهم ممن أنكروا صفات المعاني مع اثباتهم للصفات المعنوية مما يؤدي زعمهم الى قولهم : إنه تعالى قادر بذاته مريد بذاته من غير قدرة ولا إرادة وهكذا إلى آخرها. وقصدوا بذلك التنزيه لله تعالى بهذه الصفات. وقالوا : وصفناه تعالى بهذه الصفات فإما أن تكون حادثة وإما أن تكون قديمة ، فإذا كانت حادثة استحالت على الله تعالى أو قديمة تعددت القدماء فانتفت الوحدانية . والجواب عن ذلك أن تقول : إن هذه الصفات ليست مستقلة عن الذات . وإنما هي تاتعة لها فهي صفة وجودية قائمة بها .

من هم أهل السنة والجماعة ؟

وهم الذين سلكوا وساروا في الصراط المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه والتضرع اليه في كل صلواتنا ان يهدينا اليه (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)وبين الله لنا ذلك الصراط بقوله (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)وكشف الله الغطاء عن هذه الآية في سورة النساء فقال (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)[سورة النساء ، الآية : ٦٩] فبين فها "الذين أنعم عليهم " وفي سورة التوبة بين الله عن "

غير المغضوب عليهم " (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[سورة التوبة ، الآية :١٠٠]

فتبين أن الصراط المستقيم هو ذلك الهدي الذي سلكه الصحابة من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم باحسان من الصالحين والأئمة الهداة والعلماء الدعاة ، فمن أطاع أولئك الأئمة المجتهدين فانه أطاع الله ورسوله ، لأن الصحابة ﷺ أخذوا دينهم وعلمهم من رسول الله ﷺ عن كثب ، والذين جاءوا من بعدهم سلكوا مسلك الصحابة والأئمة المجتهدون لم يسلكوا ما سلكوه الا اتباعا للتابعين المهديين .

أما الاختلافات الحاصلة بين الأئمة فانما هي وسع للأمة مما تضاهي تلك الاختلافات الصادرة بين الصحابة الكرام ﷺ ، كما أنها فرعية ،

وإذا أطلق مصطلح (أهل السنة والجماعة) في كتب العلماء فالمقصود به الأشاعرة والماتريدية ، لأنهم هم الذين على ما كان عليه رسول الله ﷺ ، لم يبدلوا ولم يغيروا كما فعل غيرهم من أهل الزيغ والابتداع.

ولقد وصف رسول الله ﷺ الفرقة الناجية بأنهم السواد الأعظم من الأمة ، وهذا الوصف لا ينطبق الا على الأشاعرة والماتريدية ، إذ هم غالب أمة الإسلام ، والمنفي عنهم الاجتماع على الضلالة بنص الحديث المشهور ﴿ لا تجتمع أمتي على الضلالة ﴾ [(١)]

قال الإمام تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى : اعلم أن أهل السنة والجماعة كلهم قد اتفقوا على معتقد واحد فيما يجب ويجوز ويستحيل ، وإن اختلفوا في الطرق والمبادئ الموصلة لذلك ، أو في لِمِيّة ما هنالك ، وبالجملة فهم بالاستقراء ثلاث طوائف :

الأولى : أهل الحديث ومعتمد مباديهم الأدلة السمعية ، أعني الكتاب والسنة والإجماع.

الثانية : أهل النظر العقلي والصناعة الفكرية ، وهم الأشعرية والحنفية ، وشيخ الأشعرية أبو الحسن الأشعري ، وشيخ الحنفية أبو منصور الماتريدي...

الثالثة : أهل الوجدان والكشف ، وهم الصوفية ، ومباديهم مبادئ أهل النظر والحديث في البداية ، والكشف والإلهام في النهاية) . [(٢)]

---

(١) قال الحافظ السخاوي بعد أن عدّد طرق الحديث وأسانيده : وبالجملة فهو حديث مشهور المتن ، ذو أسانيد كثير وشواهد متعددة في المرفوع وغيره (المقاصد الحسنة حديث رقم ١٢٨٨)

(٢) إتحاف السادة المتقين : ٢ / ٦

وقال الإمام عضد الدين الإيجي رحمه الله تعالى في بيان الفرقة الناجية بعد أن عدد فرق الهالكين : وأما الفرقة الناجية المستثناة الذين قال النبي ﷺ فيهم ﴿ هُمُ الذِينَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِى ﴾ فهم الأشاعرة والسلف من المحدثين وأهل السنة والجماعة ، ومذهبهم خالٍ من بدع هؤلاء . (١)

وقال الإمام الجلال الدواني رحمه الله تعالى : الفرقة الناجية ، وهم الأشاعرة أي التابعون في الأصول للشيخ أبي الحسن... فإن قلت : كيف حكم بأن الفرقة الناجية هم الأشاعرة ؟ وكل فرقة تزعم أنها ناجية ؟ قلت سياق الحديث مشعر بأنهم — يعني الفرقة الناجية — المعتقدون بما روي عن النبي ﷺ وأصحابه ﷺ ، وذلك إنما ينطبق على الأشاعرة ، فإنهم متمسكون في عقائدهم بالأحاديث الصحيحة المنقولة عنه ﷺ وعن أصحابه ﷺ ، ولا يتجاوزون عن ظواهرها إلا لضرورة ، ولا يسترسلون مع عقولهم كالمعتزلة .(٢)

وقال الإمام عبدالقاهر البغدادي رحمه الله : ..... فأما الفرقة الثالثة والسبعون فهي أهل السنة والجماعة من فريقي الرأي والحديث دون من يشتري لهو الحديث ، وفقهاء هذين الفريقين وقراؤهم ومحدثوهم ومتكلمو أهل الحديث منهم ، كلهم متفقون على مقالة واحدة... وليس بينهم فيما اختلفوا فيه منها تضليل ولا تفسيق وهم الفرقة الناجية... فمن قال بهذه الجهة التي ذكرناها ولم يخلط إيمانه بشيء من بدع.... سائر أهل الأهواء فهو من جملة الفرقة الناجية – إن ختم الله له بها – ودخل في هذه الجملة جمهور الأمة وسوادها الأعظم من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة والأوزاعي والثوري وأهل الظاهر.... (٣).

وقال أيضاً بعد أن عدَّدَ أئمة أهل السنة والجماعة في علم الكلام من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى أن قال : .... ثم بعدهم شيخ النظر وإمام الآفاق في الجدل والتحقيق أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري الذي صار شجاً في حلوق القدرية..... وقد ملأت الدنيا كتبه ، وما رزق أحد من المتكلمين من التبع ما قد رزق ، لأن جميع أهل الحديث وكل من لم يتمعزل من أهل الرأي على مذهبه .(٤)

قال العلامة أبو عذبة : اعلم أن مدار جميع عقائد أهل السنة والجماعة على كلام قطبين : أحمهما الامام أبو الحسن الأشعري رحمه الله ، والثاني الامام أبو منصور الماتريدي رحمه الله ، فكل من اتبع واحدا منهما اهتدى وسلم ، من الزيغ والفساد في عقيدته .(٥)

---

(١) المواقف : ٤٣٠

(٢) شرح العقائد العضدية ١/ ٣٤

(٣) الفرق بين الفرق : ١٩

(٤) أصول الدين : ٣٠٩

(٥) الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية : ٤

ويطلق على مقلدي الامام أبو الحسن الأشعري بـ " الأشعرية " او " الأشاعرة " و مقلدي الامام الماتريدي بـ " الماتريدية " ؛ واصطلح المتأخرون على تسمية الفريقين بـ " الأشاعرة " تغليبا في مقابلة المبتدعة ، حيث يقولون : الفرقة الناجية هم الأشاعرة .

من هم الأشاعرة

وان مصطلح " الأشاعرة " او " الأشعرية " يطلق على من سلك مسلك الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله في الاعتقاد اهتداءً ، لا تقليداً ، فالانتساب إليه بمنـزلة الانتساب إلى الإمام أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رحمهم الله في الفروع الفقهية ، إذ مع كونهم مختلفين في طرق الاستنباط واستخراج الأحكام ، إلا أنهم متفقون على المصادر التي يصدرون عنها والموارد التي يردونها ، وكذلك الإمام أبو الحسن الأشعري في أبواب أصول الدين ، إنما هو آخذٌ من القرآن الكريم والسنة الشريفة ، وسائرٌ على طريق السلف ، والانتساب إليه إنما هو من حيث كونه أضاء تلك الطريق ونصب عليها نطاقاً وشهرها في الأمة بعد أن حاول طمسها أصحابُ البدع والأهواء.

قال الإمام تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى : اعلم أن أبا الحسن لم يبدع رأياً ولم ينشء مذهباً ، وإنما هو مقرر لمذاهب السلف ، مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله ﷺ فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقد على طريق السلف نطاقاً وتمسك به وأقام الحجج والبراهين عليه فصار المقتدي به في ذلك السالك سبيله في الدلائل يسمى أشعرياً .[١]

ثم قال رحمه الله تعالى مبيناً أن هذه الطريقة عليها جل الأمة : وقد ذكر شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام رحمه الله : أن عقيدته – يعني الأشعري – اجتمع عليها الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة ، ووافقه على ذلك من أهل عصره شيخ المالكية في زمانه أبو عمرو بن الحاجب ، وشيخ الحنفية جمال الدين الحصيري .[٢]

ونقل الامام ابن عساكر عن الحافظ أبو بكر البيهقي رحمهما الله تعالى : .. إلى أن بلغت النوبة إلى شيخنا أبي الحسن الأشعري رحمه الله فلم يحدث في دين الله حَدَثاً ، ولم يأت فيه ببدعة ، بل أخذ أقاويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة في أصول الدين فنصرها بزيادة شرح وتبيين ، وأن ما قالوا وجاء به الشرع في الأصول صحيح في العقول ، بخلاف ما زعم أهل الأهواء من أن بعضه لا يستقيم في الآراء ، فكان في بيانه تقوية ما لم يدلَّ عليه من أهل السنة والجماعة ، ونصرة أقاويل من مضى من الأئمة كأبي حنيفة وسفيان الثوري من أهل الكوفة ، والأوزاعي وغيره من أهل الشام ، ومالك والشافعي من أهل الحرمين ، ومن نحا نحوهما من الحجاز وغيرها من سائر البلاد ، وكأحمد بن حنبل وغيره من أهل الحديث ،

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٣ / ٣٦٥

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٣ / ٣٦٦

والليث بن سعد وغيره وأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري وأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري إمامي أهل الآثار وحفاظ السنن التي عليها مدار الشرع رضي الله عنهم أجمعين [١].

وقال أيضا : ولسنا نُسَلِّم أن أبا الحسن اخترع مذهباً خامساً ، وإنما أقام من مذاهب أهل السنة ما صار عند المبتدعة دارساً ، وأوضح من أقوال من تقدمه من الأربعة وغيرهم ما غدا ملتبساً ، وجدد من معالم الشريعة ما أصبح بتكذيب من اعتدى منطمساً ، ولسنا ننتسب بمذهبنا في التوحيد إليه على معنى أنا نقلده فيه ونعتمد عليه ، ولكنا نوافقه على ما صار إليه من التوحيد لقيام الأدلة على صحته لا لمجرد التقليد ، وإنما ينتسب منا من انتسب إلى مذهبه ليتميز عن المبتدعة الذين لا يقولون به من أصناف المعتزلة والجهمية والكرامية والمشبهة والسالمية ، وغيرهم من سائر طوائف المبتدعة وأصحاب المقالات الفاسدة المخترعة ، لأن الأشعري هو الذي انتدب للرد عليهم حتى قمعهم وأظهر لمن لا يعرف البدع بدعهم ، ولسنا نرى الأئمة الأربعة الذين عنيتم في أصول الدين مختلفين ، بل نراهم في القول بتوحيد الله وتنـزيهه في ذاته مؤتلفين ، وعلى نفي التشبيه عن القديم سبحانه وتعالى مجتمعين ، والأشعري رحمه الله في الأصول على منهاجهم أجمعين ، فما على من انتسب إليه على هذا الوجه جناح ، ولا يرجى لمن تبرأ من عقيدته الصحيحة فلاح ، فإن عددتم القول بالتنـزيه وترك التشبيه تمشعراً فالموحدون بأسرهم أشعرية ، ولا يضر عصابة انتمت إلى موحد مجردُ التشنيع عليها بما هي منه بَرِيِّة .[٢]

وقال في التبيين أيضا : وهم –يعني الأشاعرة– المتمسكون بالكتاب والسنة ، التاركون للأسباب الجالبة للفتنة ، الصابرون على دينهم عند الابتلاء والمحنة ، الظاهرون على عدوهم مع اطراح الانتصار والإحنة ، لا يتركون التمسك بالقرآن والحجج الأثرية ، ولا يسلكون في المعقولات مسالك المعطلة القدرية ، لكنهم يجمعون في مسائل الأصول بين الأدلة السمعية وبراهين العقول ، ويتجنبون إفراط المعتزلة ويتنكبون طرق المعطلة ، ويَطَّرِحون تفريط المجسمة المشبهة ، ويفضحون بالبراهين عقائد الفرق المموهة ، وينكرون مذاهب الجهمية وينفرون عن الكرامية والسالمية ، ويبطلون مقالات القدرية ويرذلون شُبَهَ الجبرية... فمذهبهم أوسط المذاهب ، ومشربهم أعذب المشارب ، ومنصبهم أكرم المناصب ، ورتبتهم أعظم المراتب فلا يؤثر فيهم قدح قادح ، ولا يظهر فيهم جرح جارح. [٣]

وقد شهد علماء الأمة برمتهم بأن مذهب الامام الأشعري هو ماكان عليه السواد الأعظم من الأمة سلفا وخلفا. يقول الامام العلامة عبد الله بن علوي الحداد رحمه الله " اعلم ان مذهب الأشاعرة في الاعتقاد هو ما كان عليه جماهير أمة الاسلام علماؤها ودهماؤها ، اذ المنتسبون اليهم والسالكون طريقهم كانوا أئمة أهل العلوم قاطبة على مر الأيام والسنين ، وهم أئمة علم التوحيد والكلام والتفسير والقراءة والفقه وأصوله والحديث وفنونه والتصوف واللغة والتاريخ. [٤]

---

(١) تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام ابي الحسن الأشعري : ١٠٣

(٢) تبيين كذب المفتري : ٣٦٠ – ٣٦٢

(٣) تبيين كذب المفتري : ٣٩٧ – ٣٩٨

(٤) نيل المرام شرح عقيدة الاسلام للامام عبد الله بن علوي الحداد : ٨

قال الامام ابن حجر الهيتمي رحمه الله " والمراد بالسنة ما عليه إماما أهل السنة والجماعة الشيخ أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي ، والبدعة ما عليه فرقة من فرق المبتدعة المخالفة لاعتقاد هذين الإمامين وجميع أتباعهما. " (١)

قال الشيخ العلامة أحمد مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده رحمه الله في كتابه مفتاح السعادة ومصباح السيادة ثم اعلم ان رئيس أهل السنة والجماعة في علم الكلام رجلان ، أحدهما حنفي ، والآخر شافعي . أما الحنفي فهو أبو منصور محمد بن محمود الماتريدي امام الهدى....... مات بسمرقند سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة ، وتخرج بأبي نصر العياضي.

وأما الآخر الشافعي فهو شيخ السنة ، ورئيس ، الجماعة ، امام المتكلمين ، وناصر سنة سيد المرسلين ، والذاب عن الدين ، والساعي في حفظ عقائد المسلمين ، ابو الحسن الأشعري البصري ، امام حبر ، وتقي بز ، منقى الصدور من الشبه ، كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، والمرتقي بأنوار اليقين من الوقوع في ورطات ما التبس ، حامي جناب الشرع الشريف من الحديث المفتري ، الذي قام في نصرة ملة الاسلام ، فنصرها نصرا مؤزرا. (٢)

فلو اننا ذهبنا نسرد أقوال العلماء في شأن الفرقة الناجية على مدى تاريخ الأمة المسلة لا نجد حدا ولا حصرا ، لأن العلماء على بكرة ابيهم قد اتفقوا على ان الأشاعرة ومن وافقهم من طوائف أهل الحق هم الفرقة الناجية ، وهم المعنيون بقوله ﷺ ﴿ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي ﴾

واذا تصفحنا صفحات التواريخ ألْفينا ان الأمة قاطبة على مدى تاريخها الطويل ممثلة في علمائها قد أطبقت على ان أهل السنة والجماعة هم الأشاعرة والماتريدية؛ وذلك أن الأشاعرة والماتريدية هم الذين وقفوا في وجه المعتزلة فزيفوا أقوالهم وابطلوا شبههم واعادوا الحق الى نصابه على طريق سلف هذه الأمة ومنهجهم .

من هو الامام أبو الحسن الأشعري

فاذا الأشاعرة هم أولئك السواد الأعظم من الأمة الاسلامية والذين انتسبوا في الاعتقادات الى الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله ، فمن هو هذا الإمام الفذ الذي انتسبوا إليه ؟

هو ذلك الامام الأكبر امام وشيخ طريقة أهل السنة والجماعة وناصر سنة سيد المرسلين والذاب عن الدين والساعى فى حفظ عقائد المسلمين سعيا يبقى أثره إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين . (٣)

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر للامام ابن حجر الهيتمي : ١ / ١٤٢

(٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة للعلامة أحمد مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده رحمه الله : ٢ / ١٣٣ – ١٣٤

(٣) طبقات الشافعية الكبرى للامام السبكي رحمه الله

وان " الإمام أبا الحسن الأشعري " رحمه الله هو الامام قدوتنا في الأصول أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بُردَةَ عامر ابن صاحب رسول الله ﷺ أبي موسى الأشعري رحمه الله .

ولد رحمه الله سنة ستين ومائتين بالبصرة ، (١) وقيل : بل ولد سنة سبعين ومائتين ، وفي تاريخ وفاته اختلاف .

وقد أطبقت الروايات على ان مولده ﷺ كان في القرن الثالث الذي شهد له بالخيرِ الصادقُ المصدوق المعصوم ﷺ ، في حديث متفق عليه عن عمران بن حصين عن رسول الله ﷺ قال ﴿ إِنَّ خَيْرَكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ﴾ قَالَ عِمْرَانُ " فَلَا أَدْرِي أَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً " ﴿ ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ ﴾ (٢)

قال الامام الحافظ ابن عساكر الدمشقي رحمه الله في التبيين : ففي الروايتين ما يدل على منقبة لأبي الحسن حسنة ، فإنه وُلِدَ في القرن الثالث بعد قرن المصطفى فكان مما اختاره الله من أمة محمد ﷺ واصطفى فهو لا شك من قرن شهد له رسول الله ﷺ بالخيرية مع ما انضاف إلى ذلك من كونه من الجرثومة الأشعرية التي وصفها نبي هذه الأمة فيما صح عنه بالايمان والحكمة ، إذ لا نعلم إماما من الأشعريين تجرد لافحام الملاحدة والمفترين في سالف أو آنف من الزمن كتجرد الإمام العالم أبي الحسن فهو المستحق لهذه المرتبة والمخصوص من الأشعريين بشرف المنقبة... (٣)

وهو واحد من عيون رجال السلف ، ومن أبرزهم علما واستقامةً على نهج كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؛ فالذي يجهل او يتجاهل هذه الحقيقة التاريخية فانه خَاصَمَ التاريخ وتعامَي عن الواقع المرئي لكل ذي عينين .

لمحة تاريخية عن عصر الامام رحمه الله وظهوره مجددا

وبعد ان انتقل المعصوم ﷺ الى جوار ربه ومضى عهد النبوة ظهرت في صفوف المسلمين بذور الاضطرابات العقدية ففي جانب ارتد من ارتد ، وانكر وجوب الزكاة أولئك الذين كانوا يظهرون الوفاق ويضمرون النفاق ، الا ان خليفة رسول الله ﷺ استطاع القضاء عليهم ؛ وما ان انتقل ﷺ الى الدار الباقية وتولى الخلافة من بعده عمر بن الخطاب ﷺ حتى طلعت شرذمة أخرى تسعى لتشويش العامة بعضل المسائل في الآيات المتشابهات . وروى الامام الدارمي في سننه عن سليمان بن يسار : ﴿ أَنَّ رَجُلاً يُقَالُ لَهُ صَبِيغٌ قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُمَرُ ﷺ وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ ، فَقَالَ : مَنْ

(١) طبقات الشافعية الكبرى : ٣ / ٣٤٧ ، وتاريخ بغداد : ١١ / ٣٤٧ ، تاريخ الاسلام للذهبي : ٢٤ / ١٥٤

(٢) صحيح البخاري باب فَضَائِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ أَوْ رَآهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ صحيح مسلم بَاب فَضْلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ،

(٣) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري لابن عساكر الدمشقي رحمه الله المتوفى سنة ٥٧١ ص : ١٤٤

أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا عَبْدُ اللَّهِ صَبِيغٌ ، فَأَخَذَ عُمَرُ عُرْجُوناً مِنْ تِلْكَ الْعَرَاجِينِ فَضَرَبَهُ وَقَالَ : أَنَا عَبْدُ اللَّهِ عُمَرُ . فَجَعَلَ لَهُ ضَرْباً حَتَّى دَمِىَ رَأْسُهُ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَسْبُكَ قَدْ ذَهَبَ الَّذِى كُنْتُ أَجِدُ فِى رَأْسِى ﴾ (١)

وكذلك في عهد الخليفة الثالثة عثمان بن عفان ﷺ حدث ما حدث من الفتن حتى لقي اللهَ شهيدا ...

وفي عهد علي بن ابي طالب ﷺ وبعد التحكيم في وقعة صفين انفض الخوارج من حول أمير المؤمنين علي ﷺ ؛ – وأول من خرج عليه جماعة ممن كان معه في حرب صفين وأشدهم خروجا عليه ومروقا من الدين الأشعث بن قيس الكندي ، ومسعر بن فدكي التميمي ، وزيد بن حصين الطائي – وظهروا في ثوب جديد يكفرون مرتكب الكبيرة ... وما ان توفي علي كرم الله وجهه خرج اناس يميلون الى مشايعة علي ﷺ فسُموا الشيعة ...

ولما ذاع صيت الخوارج وضاق بهم ذرعا تصدى لردهم طائفة أخري برياسة الحسن بن محمد بن الحنفية في مسألة الايمان فغالوا وتفرطوا وقال " الايمان هو الكلمة والعقد دون الأعمال " فأخروا العمل عن الايمان . حتى زعم " انه لا يضر مع الايمان معصية " ؛ وهم المرجئة .

وفي جانب آخر ظهرت الجماعة القدرية ، برياسة المعبد الجهني قالو : ان الله تعالى غير خالق لأفعال الناس ولا لشيء من أعمال الانسان ، وان الناس هم الذين يقدرون على أكسابهم وانه ليس لله ﷻ في أكسابهم ولا في أعمالهم صنع ولا تقدير ، لأجل هذا سماهم المسلمون القدرية ، لانكارهم القدر خيره وشره من الله . فتصدى لردهم جماعة أخرى وقائدها جهم بن صفوان فبالغوا وافرطوا وذهب الى انكار الاستطاعات كلها ، وانْ لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى وانما تنسب الأعمال الى المخلوقين على المجاز ، كما يقال زالت الشمس .... ومذهبه اشتهر بـ " الجبرية "

وفي جانب ارتفعت الضجات والضوضاء في شأن صفات الله تعالى وتنوعت الفرق ما بين من ينكرها أصلا ـ كالجهمية والمعتزلة والباطنية ـ وبين من يثبتونها لله ولكن يشبهونها بصفات المخلوقين من أمثال المشبهة والمجسمة والكرامية والظاهرية . فالطائفة الأولى " معطِّلة " لأنهم يعطلون ما اثبته الله لنفسه من الصفات والثانية " مشبِّهة " او " مجسِّمة " او " ظاهرية " حيث انهم يشبهون صفات الله بصفات الخلق ويثبتون له تعالى جسما كأجسام الخلق ويحملون النصوص على ظاهرها مع انكار ما فيها من الآيات كقوله تعالى (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ)(٢) و (فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)(٣) وكقوله ﷺ ﴿ والذي نفسى بيده ﴾ و ﴿ يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ﴾ فيحملون هذه النصوص على ظاهرها فيثبتون له تعالى يدا ووجها ورجلا ونـزولا من مكان الى مكان.

(١) سنن الدارمي : باب مَنْ هَابَ الْفُتْيَا وَكَرِهَ التَّنَطُّعَ وَالتَّبَدُّعَ

(٢) سورة المائدة

(٣) سورة البقرة

وعلماء اهل السنة سلفا وخلفا قد تنوعوا فى معالجة هذه النصوص ما بين من فوضوا معناها وتفسيرها الى الله العليم ونـزهوه عن الجوارح ومماثلة الخلق وبين من أولوها تأويلا لا ينافى قدره تعالى فالسلف أكثرهم ممن فوضوها الى الله والخلف اكثرهم ممن ألوها. هكذا كانت الأوضاع مضطربة الى الغاية.

ففي هذه الأوضاع الحرجة نشأ الامام الأكبر " الامام أبو الحسن الأشعري " رحمه الله وتربى في حضن زوج أمه أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة ، وتعلم مبادئ الاعتزال حتى تمهر فيه .

كان أبو الحسن الأشعري سنّيـا من بيت سنّة ثم درس علم الكلام والاعتزال على أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبَّائي زوج أمه ، وتبعه في الاعتزال عدة سنوات ، حتى دقق اعتقاد المعتزلة ، وحقق دلائلهم ، وصار لهم اماما وعلى خصومهم حساما ، ولكن مشية الله قضت ان تشرح صدره لاتباع الحق ونصر دين الله ، وكانت تعرض له الاشكالات على عقائد المعتزلة فيسأل عنها استاذه وشيخه ابا علي الجبائي فلم يجد عنده ولا عند أحد من أئمتهم جوابا شافيا كافيا ، ومن نافلة القول قصة مناظرته مع استاذه في الأصلح والعدل وهي مشهورة مستفيضة بين أهل العلم . فتاب عن الاعتزال وغاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوما ، فبعد ذلك خرج إلى الجامع فصعد المنبر وقال : معاشر الناس إني إنما تغيبت عنكم في هذه المدة لأني نظرت فتكافأتْ عندي الأدلة ، ولم يترجح عندي حق على باطل ، ولا باطل على حق ، فاستهديت الله تبارك وتعالى فهداني إلى إعتقاد ما أودعته في كتبي هذه ، وانخلعتُ من جميع ما كنت أعتقدُه ، كما انخلعتُ من ثوبي هذا ، وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به ، ودفع الكتب إلى الناس ، فمنها كتاب " اللمع " وكتابٌ أظهر فيه عوار المعتزلة سماه بكتاب " "كشف الأسرار وهتك الأستار" وغيرهما ، فلما قرأ تلك الكتب أهلُ الحديث والفقه من أهل السنة والجماعة أخذوا بما فيها وانتحلوه وإعتقدوا تقدمه وإتخذوه إماما حتى نسب مذهبهم إليه .[١]

يقول تاج الدين السبكي رحمه الله عن انطلاق رجوعه عما كان هو عليه من مذهب الاعتزال . ويحكى من مبدأ رجوعه أنه كان نائما فى شهر رمضان ، فرأى النبى ﷺ ، فقال له : " يا علي اُنْصر المذاهب المروية عنى فإنها الحق " فلما استيقظ دخل عليه أمر عظيم ، ولم يزل مفكرا مهموما من ذلك وكانت هذه الرؤيا فى العشر الأول فلما كان العشر الأوسط رأى النبى ﷺ فى المنام ثانيا ، فقال : " ما فعلت فيما أمرتك به " ؟

فقال يا رسول الله وما عسى أن أفعل وقد خرجتْ للمذاهب المروية عنك محاملُ صحيحة . فقال : " انصر المذاهب المروية عنى فإنها الحق "

فاستيقظ وهو شديد الأسف والحزن ، وأجمع على ترك الكلام واتباع الحديث وملازمة تلاوة القرآن .

---

(١) انظر تبيين كذب المفتري للامام ابن عساكر الدمشقي ص :٣٩

فلما كانت ليلة سبع وعشرين وكان من عادته سهر تلك الليلة أخذه من النعاس ما لم يتمالك معه السهر ، فنام وهو يتأسف على ترك القيام فيها فرأى النبى ﷺ ثالثا فقال له : " ما صنعت فيما أمرتك به " ؟ فقال قد تركت الكلام يا رسول الله ولزمت كتاب الله وسنتك . فقال له : " أنا ما أمرتك بترك الكلام إنما أمرتك بنصرة المذاهب المروية عنى فإنها الحق " قال ، فقلت يا رسول الله كيف أدع مذهبا تصورت مسائله وعرفت دلائله منذ ثلاثين سنة لرؤيا ؟ قال فقال لى : " لولا أنى أعلم أن الله يمدك بمدد من عنده لما قمت عنك حتى أبين لك وجوهها فجِدَّ فيه ، فإن الله سيمُدُّك بمدد من عنده " فاستيقظ ، وقال " ما بعد الحق إلا الضلال " وأخذ فى نصرة الأحاديث فى الرؤية والشفاعة والنظر وغير ذلك . وكان يُفتح عليه من المباحث والبراهين بما لم يسمعه من شيخ قط ولا اعترضه به خصم ولا رآه فى كتاب .[١]

قال الفقيه أبو بكر الصَّيرَفي " كانت المعتزلة قد رفعوا رءوسهم حتى نشأ الأشعري فحجزهم في أقماع السَّمسم ".
ذكر الذهبي في تاريخه عن مناظرته مع أهل الأهواء والبدع وقمعه لهم واظهار الحق امامهم ، فقال : قال أبو عمرو الزجاجي : سمعت أبا سهل الصعلوكي يقول : حضرنا مع الأشعري مجلس علوي بالبصرة ، فناظر أبو الحسن المعتزلة ، وكانوا كثيراً ، حتى أتى على الكل فهزمهم ، كل ما انقطع واحدٌ أخذ الآخر حتى انقطعوا ، فعدنا في المجلس الثاني ، فما عاد أحد فقال بين يدي العلوي : يا غلام اكتب على الباب : فروا .[٢]

وحكى ايضا عن ابن الباقلاني : سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول : دخلت البصرة ، وكنت أطلب أبا الحسن فإذا هو في مجلس يناظر ، وثم جماعة من المعتزلة ، فكانوا يتكلمون ، فإذا سكتوا وأنهوا كلامهم قال : كذا قلت وكذا وكذا ، والجواب كذا وكذا . إلى أن يجيب الكل . فلما قام تبعته فقلت : كم لسانٌ لك ، وكم أذنٌ لك ، وكم عينٌ لك؟ فضحك وقال : من أين أنت؟ قلت : من شيراز . وكنت أصحبه مع ذلك .[٣]

دخل هذا الامام بغداد وأخذ الحديث عن زكريا بن يحيى الساجي أحد أئمة الحديث والفقة وعن أبي خليفة الجمحي وسهل بن سرح ومحمد بن بعقوب المقيء وعبد الرحمن ابن خلف البصريين، وروى عنهم كثيراً في تفسيره "المختزن" وكان أخذ علم الكلام عن شيخه وزوْج أمه [٤] أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة .

الامام الأشعري عند الأقدميين

قال السبكي في الطبقات في ترجمة زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن أبو يحيى الساجى : روى عنه [يعني عن زكريا بن يحيى الساجي رحمه الله] الشيخ أبو الحسن الأشعرى قال شيخنا الذهبى وأخذ عنه مذهب أهل الحديث ؛ قلت سبحان الله هنا تجعل الأشعرى على مذهب أهل الحديث وفى مكان آخر لولا خشيتك سهام الأشاعرة لصرحت بأنه جهمى؛ وما كان أبو

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٣ / ٣٤٨ – ٣٤٩
(٢) تاريخ الإسلام للذهبي – ٢٤ / ١٥٥
(٣) تاريخ الإسلام للذهبي – ٢٤ / ١٥٥
(٤) كان الجبائي تزوج من أم الامام الأشعري بعد ان قضى ابوه نحبه ، فأخذه الجبائي يعلمه ويربيه وينفث فيه سُمّ الاعتزال

الحسن إلا شيخ السنة وناصر الحديث وقامع المعتزلة والمجسمة وغيرهم وما المجسمة إلا أعداء دين الله وأهلِ حديث رسول الله ﷺ [1]

وقد استفاد من الأشعري خلق كثير من أكابر العلماء ، وفحول الأئمة ، فتأدبوا بآدابه ، وسلكوا مسلكه في الأصول ، واتبعوا طريقته في الذب عن الدين ونصرة أهل السنة ، إذ كان فضل المقتَدي يدل على فضل المقتدَى به ، وهم من أعيان الأئمة ومشاهير القوم وقد ذكرهم مؤرخ الشام وحافظها أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر في كتابه الذي ألفه في الدفاع عن الشيخ أبي الحسن الأشعري مع ذكر مناقبه ومؤلفاته وثناء الأئمة عليه .

وقد أفرد قاضي القضاة الشيخ تاج الدين ابن الامام قاضي القضاة تقي الدين السبكي فصلا خاصا بذكر أكابر المنتسبين إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري ، أثناء ترجمته في كتابه طبقات الشافعية . [2]

وقد افتتح ترجمته بقوله " شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ أبو الحسن الأشعري البصري شيخ طريقة أهل السنة والجماعة وإمام المتكلمين وناصر سنة سيد المرسلين والذاب عن الدين والساعي في حفظ عقائد المسلمين سعيًا يبقى أثره إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين ، إمام حبر وتقي بر حمى جناب الشرع من الحديث المفترى وقام في نصرة ملّة الإسلام فنصرها نصرًا مؤزرًا ......[3]

روي الحافظ ابن عساكر رحمه الله في التبيين عن الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني قال "كنت في جنب الشيخ أبي الحسن الباهلي كقطرة في جنب بحر ، وسمعت الباهلي يقول " كنت في جنب الأشعري كقطرة في جنب البحر " ، ثم قال الحافظ قرأت بخط بعض أهل العلم فيما حكى عن ابي عمرو عثمن ابن أبي بكر حمود السفاقسي قال سمعت القاضي تاج العلماء أبا جعفر السمناني بالموصل يقول سمعت القاضي لسان الأمة أبا بكر بن الطيب يقول وقد قيل له كلامك أفضل وأبين من كلام أبي الحسن الأشعري رحمه الله فقال والله إن افضل أحوالي أن أفهم كلام أبي الحسن رحمه الله " . [4]

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله " اتفق أصحاب الحديث أن أبا الحسن علي بن إسماعيل الأشعري كان إماما من أئمة أصحاب الحديث ، ومذهبه مذهب أصحاب الحديث ، تكلم في أصول الدين على طريقة أهل السنة ، ورد على المخالفين من أهل الزيغ والبدع ، وكان على المعتزلة والمبتدعين من أهل القبلة والخارجين عن الملة سيفا مسلولا ، ومن طعن فيه أو قدح أو لعنه أو سبه فقد بسط لسان السوء في جميع أهل السنة " . [5]

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ص : ٢/ ٢٩٩

(٢) انظره في مقامه ص : ٣٦٥ – ٣٧٣

(٣) ص : ٣٤٧

(٤) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ابن عساكر الدمشقي ص : ١٢٥

(٥) طبقات الشافعية الكبرى للامام التاج السبكي ص : ٣ / ٣٧٤

وترجـمه الحافظ أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب الغدادي المتوَفى سنة ٤٦٣هـ في تاريخه المشهور : أبو الحسن الأشعري المتكلم صاحب الكتب والتصانيف في الرد على الملحدة وغيرهم من المعتزلة والرافضة والجهمية ، والخوارج وسائر أصناف المبتدعة . . . . إلى أن قال : وكانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله تعالى الأشعري فجرهم في أقماع السمسم . [١]

ووصفه المؤرخ ابن العماد الحنبلي في "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" بـ " الإمام العلامة البحر الفهامة أبو الحسن الأشعري على بن إسماعيل ابن أبي بشر المتكلم البصري صاحب المصنفات وله بضع وستون سنة . أخذ عن زكريا السجي وعلم الجدل والنظر عن أبي علي الجبائي ثم رد على المعتزلة . . . . ، الى ان قال : "ومما بيض به وجوه أهل السنة النبوية وسود به رايات أهل الاعتزال والجهمية فأبان به وجه الحق الأبلج ، ولصدور أهل الإيمان والعرفان أثلج ، مناظرته مع شيخه الجبائي التي قصم فيها ظهر كل مبتدع مرائي " .[٢]

وجاء في تاريخ الذهبي قال ابن عساكر : قرأت بخط علي بن نقا المصري المحدث في الرسالة كتب بها أبو محمد بن أبي يزيد القيرواني المالكي جواباً لعلي بن أحمد بن إسماعيل البغدادي المعتزلي حين ذكر الأشعري ونسبه إلى ما هو منه بريء ، فقال ابن أبي يزيد في حق الأشعري : هو رجل مشهور إنه يرد على أهل البدع وعلى القدرية والجهمية. متمسك بالسنن.[٣]

وذكره بن خلكان في وفيات الأعيان ووصفه بقوله " هو — يعني الامام الأشعري – صاحب الأصول ، والقائم بنصرة مذهب السنة ، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية ، وشهرته تغني عن الإطالة في تعريفه " .[٤]

ويكفي في بيان فضل أبي الحسن الأشعري ثناء الحافظ البيهقي عليه وهو محدث زمانه وشيخ أهل السنة في وقته فقال كلاما – أورده بطوله الحافظ ابن عساكر الدمشقي واتى ببعضه التاج السبكي رحمه الله في الطبقات – فيه ذكر شرف آباء وأجداد أبي الحسن وحسن اعتقاده وفضله وكثرة أصحابه مع ذكر نسبه .

ثم أخذ البيهقى فى ذكر ترجمة الشيخ وذكر نسبه ثم قال إلى أن بلغت النوبة إلى شيخنا أبى الحسن الأشعري رحمه الله فلم يحدث فى دين الله حدثا ولم يأت فيه ببدعة بل أخذ أقاويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة فى أصول الدين فنصرها بزيادة شرح وتبيين ، وأن ما قالوا وجاء به الشرع فى الأصول صحيح فى العقول ، بخلاف ما زعم أهل الأهواء من أن بعضه لا يستقيم فى الآراء ، فكان فى بيانه وثبوته ما لم يدل عليه أهل السنة والجماعة ، ونصرة أقاويل من مضى من الأئمة ، كأبى حنيفة وسفيان الثورى من أهل الكوفة ، والأوزاعى وغيره من أهل الشام ، ومالك والشافعى من أهل الحرمين ، ومن نحا نحوهما من أهل الحجاز ، وغيرها من سائر البلاد ، وكأحمد بن حنبل وغيره من أهل الحديث ، والليث بن سعد وغيره

(١) تاريخ بغداد – للحافظ الخطيب البغدادي ١١ / ٣٤٦
(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ٢ / ٣٠٣
(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٢٤ / ١٥٦
(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣ / ٢٨٤

وأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى وأبى الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى إمامى أهل الآثار وحفاظ السنن التى عليها مدار الشرع .

إلى أن قال وحين كثرت المبتدعة فى هذه الأمة ، وتركوا ظاهر الكتاب والسنة ، وأنكروا ما ورد أنه من صفات الله تعالى نحو الحياة والقدرة والعلم والمشيئة والسمع والبصر والكلام والبقاء ، وجحدوا ما دلا عليه من المعراج وعذاب القبر والميزان ، وأن الجنة والنار مخلوقتان ، وأن أهل الإيمان يخرجون من النيران ، وما لنبينا ﷺ من الحوض والشفاعة ، وما لأهل الجنة من الرؤية وأن الخلفاء الأربعة كانوا محقين فيما قاموا به من الولاية ، وزعموا أن شيئا من ذلك لا يستقيم على العقل ولا يصح على الرأى ، أخرج الله من نسل أبى موسى الأشعرى ﷺ إماما قام بنصرة دين الله وجاهد بلسانه وبيانه من صد عن سبيل الله وزاد فى التبيين لأهل اليقين أن ما جاء به الكتاب والسنة وما كان عليه سلف هذه الأمة مستقيم على العقول الصحيحة . [1]

وقد صنف الشيخ العلامة ضياء الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر بن يوسف بن عمر القرطبي رسالة سماها "زجر المفتري على أبي الحسن الأشعري" رد فيها على بعض المبتدعة الذين هجموا الإمام الأشعري ولما وقف عليها الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد رحمه الله قرظها .

عقيدة الامام الأشعري رحمه الله ومنهجه الوَسَطي

ولقد سبق القول بأن عصر الامام الأشعري رحمه الله كان مبتلى بالاضطرابات العقدية وانشقاقات الفكرية ، في جانب طائفةٌ مفرطة تكفر مرتكبَ الكبيرة على حين تفرطت طائفة واباحوا الكبيرة وحصروا الايمان على على الكلمة والعقد دون العمل. فجاء الامام يعيد الأمة الى صميم القرآن والسنة دون افراط او تفريط في الأمر . فقال : لا يجوز حصر الايمان على العقد والكلمة فتهمل الأعمالُ ويعيش كا يحلوا له بارتكاب المعصية والمخالفة لأوامر الله بل ان الايمان قول وعمل يجب امتثال أوامر الله كما لا بد من ان يجتنب نواهيه الا انه لا يكفر من يعصي الله ، فالعاصي مع ايمانه الراسخ لا يخلد فقط بمعصيته في النار ، بل يعامله الله بعدله .

وكذلك جابه الامام رحمه الله أولئك الذين ينكرون القدر خيره وشره من الله تعالى ، وادعوا ان اعمال الخلق لا دخل لله تعالى فيها فان العبد هو الذي يخلق أعماله فغالوا فأفرطوا... على حين انكر قوم استطاعة العبد أصلا فتطرفوا وتفرطوا...

فاتخذ الامام رحمه الله منهجا وسطا لا غلو فيه ولا تطرف ، فقال : والعبد قادر على أفعاله إذ الإنسان يجد من نفسه تفرقة ضرورية بين حركات الرعدة والرعشة وبين حركات الاختيار والإرادة والتفرقة راجعة إلى أن الحركات الاختيارية حاصلة تحت القدرة متوقفة على اختيار القادر فعن هذا قال : المكتسب : هو المقدور بالقدرة الحاصلة والحاصل تحت القدرة الحادثة . ثم على أصل أبي الحسين : لا تأثير للقدرة الحادثة في الأحداث لأن جهة الحدوث قضية واحدة لا تختلف بالنسبة إلى الجوهر والعرض

(١) انظر طبقات الشافعية الكبرى – ٣ / ٣٩٧ ؛ وتبيين كذب المفتري للامام حافظ ابن عساكر رحمه الله ١٠٠ – ١٠٧

فلو أثرت في قضية الحدوث لأثرت في حدوث كل محدث حتى تصلح لإحداث الألوان والطعوم والروائح وتصلح لإحداث الجواهر والأجسام فيؤدي إلى تجويز وقوع السماء على الأرض بالقدرة الحادثة غير أن الله تعالى أجرى سنته بأن يحقق عقيب القدرة الحادثة أو تحتها أو معها الفعل الحاصل إذا أراده العبد وتجرد له ويسمى هذا الفعل كسبا فيكون خلقا من الله تعالى إبداعا وإحداثا وكسبا من العبد حصولا تحت قدرته. [١]

ومن أهم ما واجه الامام تلك التيارات الفكرية المتطرفة من المعتزلة والجهمية والباطنية التي انكرت صفات الله تبارك وتعالى أصلا فرقا من وقوع القدماء مع الله وهو محال . بينما لأثبتت طوائف أخرى صفات الله تعالى الا انها شبهتها بصفات المخلوقين ، وحملوا نصوص القرآن والسنة المتشابهات على ظاهرها فتنوعوا ما بين من اثبتوا لله جسما وصورة وجهة واستقرارا وجوارحَ وغيرها من صفات المخلوقين وهم المجسمة والظاهرية ، وبين من أثبتوها غير انهم قالوا جسم وصورة واستقرار وجوارح الا انها لا نعلم كيفيتها.... وهم المشبهة والكرامية..

فقال : وله صفات دلت أفعاله عليها لا يمكن جحدها وكما دلت الأفعال على كونه عالما قادرا مريدا دلت على العلم والقدرة والإرادة لأن وجه الدلالة لا يختلف شاهدا وغائبا ، وأيضا لا معنى للعالم حقيقة إلا أنه ذو علم ولا للقادر إلا أنه ذو قدرة ولا للمريد إلا أنه ذو إرادة فيحصل بالعلم الإحكام والإتقان ويحصل بالقدرة الوقوع والحدوث ويحصل بالإرادة التخصيص بوقت دون وقت وقدر دون قدر وشكل دون شكل ، وهذه الصفات لن يتصور أن يوصف بها الذات إلا وأن يكون الذات حيا بحياة للدليل الذي ذكرناه . [٢]

ويقول الشهرستاني أيضا : وألزم منكري الصفات إلزاما لا محيص لهم عنه وهو أنكم وافقتمونا بقيام الدليل على كونه عالما قادرا فلا يخلو : إما أن يكون المفهومان من الصفتين واحدا أو زائدا : فإن كان واحدا فيجب أن يعلم بقادريته ويقدر بعالميته ويكون من علم الذات مطلقا علم كونه عالما قادرا وليس الأمر كذلك فعلم أن الاعتبارين مختلفان ، فلا يخلو إما أن يرجع الاختلاف إلى مجرد اللفظ أو إلى الحال أو إلى الصفة ، وبطل رجوعه إلى اللفظ المجرد فإن العقل يقضي باختلاف مفهومين معقولين ولو قدر عدم الألفاظ رأسا ما ارتاب العقل فيما تصوره ، وبطل رجوعه إلى الحال فإن إثبات صفة لا توصف بالوجود ولا بالعدم إثبات واسطة بين الوجود والعدم والإثبات والنفي وذلك محال ، فتعين الرجوع إلى صفة قائمة بالذات وذلك مذهبه. [٣]

قال أبو الحسن رحمه الله : الباري تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حي بحياة مريد بإرادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر وله في البقاء اختلاف رأي ، قال : وهذه الصفات أزلية قائمة بذاته تعالى لا يقال : هي هو ، ولا هي غيره ، ولا : لا هو ، ولا : لا غيره . والدليل على أنه متكلم بكلام قديم ومريد بإرادة قديمة : أنه قد قام الدليل على أنه تعالى ملك والملك من له

---

(١) الملل والنحل ١ / ١١٠

(٢) الملل والنحل – ١ / ١٠٧

(٣) الملل والنحل – ١ / ١٠٧

الأمر والنهي فهو آمر ناه ، فلا يخلو إما أن يكون آمرا بأمر قديم أو بأمر محدث وإن كان محدثا فلا يخلو إما أن يحدثه في ذاته أو في محل أو لا في محل ويستحيل أن يحدثه في ذاته لأنه يؤدي إلى أن يكون محلا للحوادث وذلك محال ويستحيل أن يحدثه في محل لأنه يوجب أن يكون المحل به موصوفا ويستحيل أن يحدثه لا في محل لأن ذلك غير معقول فتعين أنه قديم قائم به صفة له وكذلك التقسيم في الإرادة والسمع والبصر .

قال : وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات : المستحيل والجائز والواجب والموجود والمعدوم وقدرته واحدة تتعلق بجميع ما يصلح وجوده من الجائزات وإرادته واحدة تتعلق بجميع ما يقبل الاختصاص وكلامه واحد هو : أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد ، وهذه الوجوه ترجع إلى اعتبارات في كلامه لا إلى عدد في نفس الكلام والعبارات والألفاظ المنـزلة على لسان الملائكة إلى الأنبياء عليهم السلام دلالات على الكلام الأزلي والدلالة مخلوقة محدثة والمدلول قديم أزلي والفرق بين القراءة والمقروء والتلاوة والمتلو كالفرق بين الذكر والمذكور فالذكر محدث والمذكور قديم . (١)

وأما ما تزعم المجسمة والمشبهة من أن الإمام الأشعري قرر في كتابه الإبانة ما يوافق التجسيم والتشبيه ، وأن الله حالٌّ في السماء ، فهو مدفوع بأن النسخ التي يعتمدون عليها في نسبة ذلك إليه مدسوسة عليه ، ولا يستطيعون أن يظهروا نسخة موثوقًا بها ، إنما هذه النسخة عمل بعض المجسمة ، فهل يعقل أن تكون مثل هذه العبارة من كلام أبي الحسن الأشعري وهي " اتفق المسلمون في دعائهم على قول : يا ساكن السماء " ، فهذه فرية ليس فيها مرية ، يكفي لكونها كذبا وافتراء عليه ، أن هذا لا يعرف عن أحد من الأشاعرة خواصهم وعوامهم ، بل ولا عن أحد ممن سبق أبا الحسن الأشعري ولا من لحقه من أهل الإسلام في الزمن الماضي والحاضر .

وقد ساق ابن عساكر عددا وافرا من مؤلفاته لم نذكرها في هذه العجالة فرَقا من الإطالة فمن شاء فليراجع ، وكذا أورد الكثير منها إسماعيل باشا في كتابة هدية العارفين .

وعلى مذهبه في الإعتقاد علماء مئات الملايين من المسلمين في الشرق والغرب تدريسا وتعليما ويشهد بذلك الواقع المشاهد ، ويكفي لبيان حقية مذهبه في الاعتقاد كـون أولئك الحفّاظ الذين هم رؤوس أهل الحديث ، الحافظ أبو بكر الاسماعيلي صاحب المستخرج على البخاري ، ثم الحافظ العلم المشهور أبو بكر البيهقي ، ثم الحافظ الذي وصف بأنه أفضل المحدِّثين بالشام في زمانه ابن عساكر أشاعرة ، كان كل واحد من هؤلاء علَمًا في الحديث– في زمانه ثم جاء من هو على هذا المنوال الحافظ الموصوف بأنه أمير المؤمنين في الحديث أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المَكْنِيُّ بأبي الفضل ، وكذلك سائر المحدثين والحفاظ والأئمة الذين كانوا أعلام الهدى في وقتهم ، جاءوا يؤيدون مذهب الإمام الأكبر الأشعري رحمه الله .

المتشابهات في القرآن والسنة

(١) الملل والنحل – ١ / ١٠٨

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آَيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[سورة آل عمران ، الآية : ٧]

والمتشابه من القرآن ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره إما من حيث اللفظ أو من حيث المعنى .

حكم المتشابهات

وقد قال الامام أبوحامد الغزالي رحمه الله في حكم المتشابهات : "الباب الأول في شرح اعتقاد السلف في هذه الأخبار؛ اعلم ان الحق الصريح الذي لا مر اء فيه عند أهل البصائر وهو مذهب السلف اعني مذهب الصحابة والتابعين ؛ وها انا اورد بيانه وبيان برهانه ، فأقول : حقيقة مذهب السلف وهو الحق عندنا ، ان كل من بلغه حديث من هذه الأحاديث ، من عوام الخلق ، يجب عليه فيه سبعة أمور التقديس ثم التصديق ثم الاعتراف بالعجز ثم السكوت ثم الكف ثم الامساك ثم التسليم لاهل المعرفة . اما التقديس : فاعني به تنـزيه الرب تعالى عن الجسمية وتوابعها . واما التصديق : فهو الايمان بما قاله ﷺ ، وان ما ذكره حق وهو فيما قاله صادق ، وانه حق على الوجه الذي قاله واراده . واما الاعتراف بالعجز : فهو ان يقر بان معرفة مراده ليست على قدر طاقته ، وان ذلك ليس من شأنه وحرفته . واما السكوت : فان لا يسأل معناه ولا يخوض فيه ، ويعلم ان سؤاله عنه بدعة ، وانه في خوضه فيه مخاطر بدينه ، وانه يوشك ان يكفر لو خاض فيه من حيث لا يشعر . واما الامساك : فان لا يتصرف في تلك الالفاظ بالتصريف والتبديل بلغة أخرى ، والزيادة فيه والنقصان منه والجمع والتفريق ، بل لا ينطق الا بذلك اللفظ وعلى ذلك الوجه من الايراد والاعراب والتصريف والصيغة . واما الكف : فان يكف باطنه عن البحث عنه والتفكر فيه . واما التسليم لأهله : فان لا يعتقد ان ذلك ان خفي عليه فقد خفي على رسول الله ﷺ او على الأنبياء او على الصديقين والأولياء .

فهذه سبع وظائف اعتقد كافة السلف وجوبها على كل العوام ، لا ينبغي ان يظن بالسلف الخلاف في شيئ منها " .
ثم قام الامام الغزالي يشرح كل وظيفة وظيفة . . . ومن اراد التفصيل فاليراجع كتابه "الجام العوام عن علم الكلام" فانه من الأهمية بمكان . [١]

وليس من أهل العلم أحد قال بأن الآيات المتشابهات محصورة على آيات الصفات ! ! ولا يصلح التأويل في حق صفات الله تعالى التي اسندها اليه في كتابه العزيز وظاهرها يوهم الجسمية كاليد والوجه . . . .
هذه الآيات والأحاديث عالجتها الأئمة منذ عهد النبوة بمذهبين ، مذهب التفويض ومذهب التأويل؛ فمذهب التفويض كان نطاقه أوسع عند السلف على حين كان نطاقها أضيق عند الخلفكما ان مذهب التأويل كان أضيق عند السلف واوسع عند الخلف . . . كما سنشرحه ان شاء الله .

(١) الجام العوام عن علم الكلام للامام الغزالي رحمه الله ص : ٤ – ٦

فأولئك الذين ينكرون على من يؤول الآيات القرآنية لينـزه به الرب العلي ، على حين يؤولون غيرها من الآيات!! هل فيهم من لم يؤول كلمة " يُحِبُّهُمْ " في قوله تعالى (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)[سورة المائدة ، الآية :٥٤] ومن لم يؤول " المعية " في قوله تعالى : (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ)[سورة الحديد ، الآية :٤]

أنى لهم حرمة التأويل في صفات الله فحسب ، وحيث لم يجدوا مناصا من التأويل أثبتوا في مواضع ومنعوه في أخرى !! (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)[سورة البقرة ، الآية : ٨٥] قال تعالى : (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ)[سورة التوبة ، الآية : ٦٧] (فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ)[سورة السجدة ، الآية : ١٤] (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا)[سورة مريم ، الآية : ٦٤]

هل من أحد يقول ان لله صفة يدعى " النسيان " بدون تكييف ولا تمثيل فينسى الله غير ان نسيانه ليس كنسياننا نحن لله تعالى الله عما يشبهون . ﴿ ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما ﴾ هل يقولون ان الله يضحك الا انه لا كضحكنا !! ما لكم كيف تحكمون * أفلا تذكرون ؟ .

هل يفهم كل هذه الآيات والأحاديث وما يشابهها ، مما ظاهره الجسمية دون تأويل ؟ هل يفيد قول قائل " بلا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف " بعد ان نسب الى الله ما لا يليق بمقامه؟ وكلنا يقول ان الله لا يخاطبنا بما لا نفهم ، ولا نفهم من الضحك الذي يطلق على الله الا القهقهة ، او الانفعال والتبسم ، فما دام يطلقه على الله حقيقة لا نعرفه الا ذلك!! الا اذا اول بالرحمة كما أوله الامام البخاري رحمه الله ، او بالرضى كما أوله غير واحد .

قال الامام البيهقي رحمه الله بعد هذا الحديث " قال البخاري : معنى الضحك الرحمة . قال أبو سليمان : قول أبي عبد الله قريب ، وتأويله على معنى الرضى لفعلهما أقرب وأشبه .

ثم قال : ومعلوم أن الضحك من ذوي التمييز يدل على الرضى والبشر ، والاستهلال منهم دليل قبول الوسيلة ، ومقدمة إنجاح الطلبة ، والكرام يوصفون عند المسألة بالبشر وحسن اللقاء ، فيكون المعنى في قوله ﴿ يضحك الله إلى رجلين ﴾ أي : يجزل العطاء لهما ؛ لأنه موجب الضحك ومقتضاه .....
قال أبو سليمان : قوله ﴿ عجب الله ﴾ إطلاق العجب لا يجوز على الله سبحانه ، ولا يليق بصفاته ، وإنما معناه الرضى ، وحقيقته أن ذلك الصنيع منهما حل من الرضا عند الله ، والقبول له ، ومضاعفة الثواب عليه ، محل العجب عندكم في الشيء التافه إذا رفع فوق قدره ، وأعطي به الأضعاف من قيمته . قال أبو سليمان : وقد يكون أيضا معنى ذلك أن يعجب

الله ملائكته ويضحكهم ، وذلك أن الإيثار على النفس أمر نادر في العادات ، مستغرب في الطباع ، وهذا يخرج على سعة المجاز ، ولا يمتنع على مذهب الاستعارة في الكلام ، ونظائره في كلامهم كثيرة .(١)

اما قولنا : الله سميع لا كسمعنا ، و بصير لا كبصرنا ، فانه اثبات لله تعالى صفة السمع والبصر وتنـزيهه عن آلة السمع والبصر وهي الأذن والعين، كما ننـزهه عن الأعضاء والجوارح.

وايضا روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ إن الله ﷻ يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني ، قال : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني ، قال : يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني ، قال : يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه ، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي .(٢)

هل من قائل فيهم ان الله يمرض او ان له صفة تدعى "مرض" لا كمرضنا وان العبد اذا مرض فان الله تعالى ايضا يمرض معه واذا عاده آخر لوجد الله عنده بذاته !! او ان الله هو الذي يستطعم في صورة العبد! انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثما مبينا . فهؤلاء هم الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، تعالى الله عما يقوله الظالمون.

قال الامام الحافظ البيهقي رحمه الله : وفيه دليل على أن اللفظ قد يرد مطلقا، والمراد به غير ما يدل عليه ظاهره ، فإنه أطلق المرض والاستسقاء والاستطعام على نفسه ، والمراد به ولي من أوليائه ، وهو كما قال الله ﷻ (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ....)[سورة المائدة ، الآية : ٣٣] وقوله : { إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ...)[سورة الأحزاب ، الآية : ٥٧] ، وقوله : (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ)[سورة محمد ، الآية : ٧] والمراد بجميع ذلك أولياؤه وقوله : ﴿ لوجدتني عنده ﴾ أي وجدت رحمتي وثوابي عنده ، ومثله قوله ﷻ وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ)[سورة النور ، الآية : ٣٩] وجد حسابه وعقابه .(٣)

منهج السلف في فهم النصوص المتشابهة

(١) الأسماء والصفات للامام البيهقي رحمه الله ص : ٥٩٣

(٢) صحيح مسلم باب فضل عيادة المريض

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي ص : ٢٨٦

وسبق معنا القول بأن السلف الصالح أغلبهم كان موقفهم ازاء هذه المتشابهات التفويضُ ، وهو امرار تلك النصوص الموهمة كما وردت من غير تحريف ولا زيادة ولا تكييف مع تنـزيه الله تعالى عن الصفات الناقصة باعتقاد أن المعنى الظاهر لتلك النصوص غير مراد ومصروفٌ عن حقيقته.

ويجد من يتأمل ويمعن النظر في هذا الموقف السالم السديد انه تأويل اجمالي ضمن تفويضهم ، حيث انهم لا يعتقدون ظاهر اللفظ في حق الله بل صرفوها عن ظاهرها ونزهوا الله عنه ، وفوضو المعنى المراد الحقيقي الى الله تبارك وتعالى .

ويعزى الى امام دار الهجرة مالك بن أنس ﷺ أنه قال في الاستواء " استوى مذكور ، والكيف غير معقول ، والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة .

وروي عنه رحمه الله أنه قال لرجل سأله عن استواء الرحمن " الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ، ولا يقال : كيف ، وكيف عنه مرفوع ، وأنت رجل سوء صاحب بدعة " وفي رواية أخرى " الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أراك إلا مبتدعا "

وروى الامام الحافظ البيهقي رحمه الله في الأسماء والصفات أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أحمد بن محمد بن إسماعيل بن مهران ، حَدَّثَنَا أبي ، حدثنا أبو الربيع ابن أخي رشدين بن سعد قال : سمعت عبد الله بن وهب ، يقول : كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل ، فقال : يا أبا عبد الله (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)كيف استواؤه ؟ قال : فأطرق مالك وأخذته الرحضاء ، ثم رفع رأسه فقال : الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ، ولا يقال : كيف ، وكيف عنه مرفوع ، وأنت رجل سوء صاحب بدعة ، أخرجوه . قال : فأخرج الرجل .[(١)]

وجاء فيه أيضا : أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن الحارث الفقيه الأصفهاني ، أَخْبَرَنَا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ ، حَدَّثَنَا أبو جعفر أحمد بن زيرك اليزدي ، سمعت محمد بن عمرو بن النضر النيسابوري ، يقول : سمعت يحيى بن يحيى ، يقول : كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال : يا أبا عبد الله (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)فكيف استوى ؟ قال : فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أراك إلا مبتدعا . فأمر به أن يخرج .[(٢)]
وقد حكي عن الامام مالك " الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة " بمعنى أن محامل الاستواء في اللغة معلومة بعد نفي الاستقرار من القهر أو الغلبة والقصد إلى خلق شيء هو العرش كما قال (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ)أي قصد إلى خلقها أو التناهي في صفات الكمال كقوله تعالى (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى)يعني أن كل هذه

---

(١) الأسماء والصفات للامام البيهقي – ٢ / ٣٠٤
(٢) الأسماء والصفات : ٢ / ٣٠٥

المحامل معلومة في اللسان وقوله والكيف مجهول اي غير معقول فلا يتصور وقوله والإيمان به واجب يعني أن التصديق بأن له معنى يصح في وصفه تعالى واجب وقوله والسؤال عنه بدعة يعني أن تعيينه بطريق الظنون بدعة فإنه لم يعهد من الصحابة التصرف في أسماء الله تعالى وصفاته بالظنون . [1]

فليس معنى قوله " الكيف مجهول " ان لله تعالى كيفا نجهله بل المراد به انه غير معقول كما رواه البيهقي والغزالي وغيرهم ، تعالى الله عما يقوله الظالمون .

وسئل الامام العلامة شهاب الدين محمد الرملي رحمه الله عن عقيدة الأئمة الأربعة في الجهة والاستواء وكشف الساق وغيرها من المتشابهات ، فأجاب رحمه الله " الحمد لله مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم ما عدا من سيأتي أن هذا القول وهو أن الله تعالى بجهة العلو غير صحيح كما هو مقرر في كتب الكلام مبسوطاتها ومختصراتها وقد رووه بأدلة كثيرة لا يحتملها هذا الجواب قال الإمام العالم العلامة عز الدين بن عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي في كتابه حل الرموز ومفاتيح الكنوز سئل يحيى بن معاذ الرازي فقيل له أخبرنا عن الله تعالى فقال إله واحد فقيل له كيف هو فقال إله قادر قيل أين هو قال بالمرصاد فقال السائل لم أسألك عن هذا فقال ما كان غير هذا فهو صفة المخلوق فأما صفته تعالى فالذي أخبرت عنه .

وسئل بعض العارفين عن قوله (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)فقال الحق سبحانه وتعالى عرفنا بهذا القول من هو ما عرفنا ما هو ؛ لأنه لا يعرف ما هو إلا هو .

وقيل لصوفي أين الله فقال قبحك الله هل تطلب مع العين أين قال تعالى (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ)وسئل الشبلي عن قوله (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)فقال الرحمن لم يزل والعرش محدث فالعرش بالرحمن استوى ، وسئل ذو النون في قوله (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)فقال أثبت ذاته ونفى مكانه فهو موجود بذاته والأشياء كلها موجودة بحكمة كما شاء .

وسئل الإمام أحمد عن الاستواء فقال استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر وسئل الإمام الشافعي عن الاستواء فقال آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل واتهمت نفسي في الإدراك ، وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك وقال الإمام أبو حنيفة من قال لا أعرف الله في السماء هو أم في الأرض فقد كفر ؛ لأن هذا القول يوهم أن للحق تعالى مكانا فهو مشبه .

وسئل الإمام مالك عن الاستواء فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة روي أنه قال للسائل بعد ذلك فلا أراك إلا خارجيا أخرجوه عني .
وهذا الذي ذهب إليه الأئمة الأربعة فلا خلاف بينهم في ذلك ومن توهم أن بين أحد من الأئمة اختلافا في صحة الاعتقاد فقد أعظم الفرية على أئمة الأمة وساء ظنه بأئمة المسلمين وقد سئل مصباح التوحيد وصباح التفريد علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – بم عرفت ربك فقال عرفت ربي بما عرفني به نفسه لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس قريب في بعده بعيد في قربه

---

(١) انظر فتاوى الرملي

فوق كل شيء ولا يقال تحته شيء ، وأمام كل شيء ولا يقال أمامه شيء وهو في كل شيء لا كشيء في شيء فسبحان من هو كذا وليس هكذا غيره ا هـ . وما ورد في الكتاب والسنة مما ظاهره القول بالجهة مصروف عن ظاهره للأدلة العقلية القاطعة ....الخ [١]

قال الحافظ ابن كثير : وأما قوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا ، ليس هذا موضع بسطها ، وإنما يُسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح : مالك ، والأوزاعي ، والثوري ، والليث بن سعد ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه وغيرهم ، من أئمة المسلمين قديما وحديثا ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله ، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه ، و (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[سورة الشورى ، الآية :١١] بل الأمر كما قال الأئمة –منهم نُعَيْم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري : " من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ". وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه ، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة ، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى ، ونفى عن الله تعالى النقائص ، فقد سلك سبيل الهدى. [٢]

التفويض و التأويل

وهذان المذهبان هما فقط المذهبان المعتبران المأثوران عن الأمة الاسلامية وائمتها وعلمائها سلفا وخلفا في ميدان المتشابهات . ورمت الأمة قاطبة ممثلة في علمائها منذ ١٤ قرنا جميع المذاهب التي تخالف هذين المذهبين ، من التجسيم والتشبيه والتعطيل عرض الحائط . ولا اعتبار بكل من يُتَمْتِمُ ويُجَمْجِمُ ، ممن يقول بأن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتشابهات يجب ان تمر على ظاهرها كما جائت مع قوله الفارغة بلا تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل ، مع الايمان بما دلت عليه من المعنى الظاهر القاموسي تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

يقول الحافظ : اثناء شرحه لحديث ﴿ جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلاَّ رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِى جَنَّةِ عَدْنٍ ﴾ [٣] قال المازري : كان النبي ﷺ يخاطب العرب بما تفهم ويخرج لهم الأشياء المعنوية إلى الحس ليقرب تناولهم لها ، فعبر عن زوال الموانع ورفعه عن الأبصار بذلك ، وقال عياض : كانت العرب تستعمل الاستعارة كثيرا ، وهو أرفع أدوات بديع فصاحتها وإيجازها ، ومنه قوله تعالى (جَنَاحَ الذُّلِّ)[سورة الإسراء ، الآية : ٢٤] فمخاطبة النبي ﷺ لهم برداء الكبرياء على وجهه ونحو ذلك من هذا المعنى ، ومن لم يفهم ذلك تاهَ ، فمن أجرى الكلام على ظاهره أفضى به الأمر إلى التجسيم . . . . . [٤]

---

(١) فتاوى الرملي (هامش فتاوي الفقهية الكبرى) ٤ / ٢٦٣ – ٢٨٤

(٢) تفسير ابن كثير – ٣ / ٤٢٦

(٣) صحيح البخارى : باب قَوْلِهِ ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾

(٤) فتح الباري لابن حجر باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ...﴾

هذا الامام النووي رحمه الله يقتصر ويحصر مذهب الأمة في المتشابهات على هذين المذهبين فقط ، يعني مذهبي التفويض والتأويل، ونص على ان كلا المذهبين منقول عن السلف ﷺ . وقال : عندما يشرح حديث النـزول : قوله ﷺ ﴿ يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِى فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِى فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِى فَأَغْفِرَ لَهُ ﴾ [١]

" هذا الحديث من أحاديث الصفات ، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء سبق إيضاحهما في كتاب الإيمان ومختصرهما أن أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين : أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى ، وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ، ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنـزيه الله تعالى عن صفات المخلوق ، وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق . والثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها " .[٢]

يقول بدر الدين بن جماعة : ومن الأخبار ﴿ قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن ﴾ رواه مسلم [٣] فإن كل عاقل يعلم أنه ليس لله تعالى في كل صدر مؤمن أصبعان وأن ذلك مؤول قطعا بما سنذكره إن شاء الله تعالى ومنها ﴿ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِى يَبْطُشُ بِهَا وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّى شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ أَتَانِى يَمْشِى أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً . ﴾ وكذلك قوله ﴿ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِى واسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِى وَاسْتَكْسَوْتُكَ فَلَمْ تكْسِنِي ... ، الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِى وَالْعَظَمَةُ إِزَارِى ﴾ كل ذلك لا يشك عاقل لا يرتاب في أن ظاهر ذلك غير مراد ومن خالجه عقله بخلاف ما قلناه فغير مستحق لخطاب أورد جواب وكذلك ﴿ الحجر الأسود يمين الله في أرضه ﴾ . [٤]

واتفق السلف وأهل التأويل على أن ما لا يليق من ذلك بجلال الرب تعالى غير مراد كالقعود والاعتدال واختلفوا في تعيين ما يليق بجلاله من المعاني المحتملة كالقصد والاستيلاء فسكت السلف عنه وأوله المؤولون على الاستيلاء والقهر لتعالي الرب عن سمات الأجسام من الحاجة إلى الحيز والمكان وكذلك لا يوصف بحركة أو سكون أو اجتماع وافتراق لأن ذلك كله من سمات المحدثات وعروض الأعراض والرب تعالى مقدس عنه . [٥]

---

(١) صحيح مسلم : باب التَّرْغِيبِ فِى الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِى آخِرِ اللَّيْلِ....

(٢) شرح النووي على مسلم .

(٣) لفظ المسلم : ﴿ إِنَّ قُلُوبَ بَنِى آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ﴾ صحيح مسلم : باب تَصْرِيفِ اللَّهِ تَعَالَى الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ

(٤) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لبدر الدين بن جماعة ص ٩٠

(٥) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لبدر الدين بن جماعة ص : ٩١

قال العلامة ملا علي القارئ رحمه الله في شرح حديث النـزول ﴿ يَنْزِلُ رَبُّنَا ﴾ أي أمره لبعض ملائكته أو ينـزل مناديه ﴿ تَبَارَكَ ﴾ كثر خيره ورحمته وآثار جماله ﴿ وَتَعَالَى ﴾ عن صفات المخلوقين من الطلوع والنـزول وارتفع عن سمات الحدوث بكبريائه وعظمته وجلاله قيل إنهما جملتان معترضتان بين الفعل وظرفه للتنبيه على التنـزيه لئلا يتوهم أن المراد بالاسناد ما هو حقيقته . ﴿ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ﴾ قال ابن حجر : أي ينـزل أمره ورحمته أو ملائكته، وهذا تأويل الإمام مالك وغيره ويدل له الحديث الصحيح ﴿ أن الله ﷻ يمهل حتى يمضي شطر الليل ثم يأمر مناديا ينادي فيقول هل من داع فيستجاب له . . ﴾ الحديث . .

والتأويل الثاني ونسب إلى مالك أيضا أنه على سبيل الاستعارة ومعناه الاقبال على الداعي بالإجابة واللطف والرحمة وقبول المعذرة كما هو عادة الكرماء لا سيما الملوك إذا نزلوا بقرب محتاجين ملهوفين مستضعفين .

ثم قال رحمه الله : قال النووي في شرح مسلم في هذا الحديث وشبهه من أحاديث الصفات وآياتها مذهبان مشهوران فمذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين الإيمان بحقيقتها على ما يليق به تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ولا نتكلم في تأويلها ما اعتقادنا تنـزيه الله سبحانه عن سائر سمات الحدوث والثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السلف وهو محكي عن مالك والأوزاعي إنما يتأول على ما يليق بها بحسب بواطنها فعليه الخبر مؤول بتأويلين أي المذكورين بكلامه وبكلام الشيخ الرباني أبي إسحاق الشيرازي وإمام الحرمين والغزالي وغيرهم من أئمتنا وغيرهم يعلم أن المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر كالمجيء والصورة والشخص والرجل والقدم واليد والوجه والغضب والرحمة والاستواء على العرش والكون في السماء وغير ذلك مما يفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان تستلزم أشياء يحكم بكفرها بالإجماع فاضطر ذلك جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره وإنما اختلفوا هل نصرفه عن ظاهره معتقدين اتصافه سبحانه بما يليق بجلاله وعظمته من غير أن نؤول بشيء آخر وهو مذهب أكثر أهل السلف وفيه تأويل اجمالي أو مع تأويله بشيء آخر وهو مذهب أكثر أهل الخلف وهو تأويل تفصيلي ولم يريدوا بذلك مخالفة السلف الصالح معاذ الله أن يظن بهم ذلك وإنما دعت الضرورة في أزمنتهم لذلك لكثرة المجسمة والجهمية وغيرهما من فرض الضلال واستيلائهم على عقول العامة فقصدوا بذلك ردعهم وبطلان قولهم ومن ثم اعتذر كثير منهم وقالوا لو كناعلى ما كان عليه السلف الصالح من صفاء العقائد وعدم المبطلين في زمنهم لم نخض في تأويل شيء من ذلك ، وقد علمت أن مالكا والأوزاعي – وهما من كبار السلف – أولا الحديث تأويلا تفصيليا وكذلك سفيان الثوري أول الاستواء على العرش بقصد أمره ونظيره ، ثم استوى إلى السماء أي قصد إليها . ومنهم الإمام جعفر الصادق بل قال جمع منهم ومن الخلف أن معتقدا لجهة كافر كما صرح به العراقي . . . . . [1]

ويقول الامام الزركشي رحمه الله : النوع السابع والثلاثون في حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات وقد اختلف الناس في الوارد منها في الآيات والأحاديث على ثلاث فرق :

أحدها : أنه لا مدخل للتأويل فيها بل تجري على ظاهرها ولا تؤول شيئا منها وهم المشبهة .

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا علي القاري ج : ٣ / ص : ٢٩٨ – ٣٠٠

والثاني : أن لها تأويلا ، ولكنا نمسك عنه مع تنـزيه اعتقادنا عن الشبه والتعطيل ، ونقول : لا يعلمه إلا الله وهو قول السلف . [يعني اكثرهم]

والثالث : أنها مؤولة ، وأولوها على ما يليق به .

والأول باطل ، والأخيران منقولان عن الصحابة؛ فنقل الإمساك عن أم سلمة : أنها سئلت عن الاستواء ، فقالت : الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة؛ وكذلك سئل عنه مالك ﷺ ، فأجاب بما قالته أم سلمة إلا أنه زاد فيها أن من عاد إلى هذا السؤال عنه أضرب عنقه وكذلك سئل سفيان الثوري ﷺ فقال : أفهم من قوله (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)ما أفهم من قوله (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ). وسئل الأوزاعي عن تفسير هذه الآية فقال الرحمن على العرش استوى كما قال وإني لأراك ضالا وسئل ابن راهويه عن الاستواء أقائم هو أم قاعد فقال لا يمل القيام حتى يقعد ولا يمل القعود حتى يقوم وأنت إلى غير هذا السؤال أحوج قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح وعلى هذه الطريقة مضى صدر الأمة وسادتها . . . .

وممن نقل عنه التأويل علي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم ﷺ . [1]

وبعد ان روى الامام البيهقي حديث النـزول عن ابي هريرة ﷺ قال رحمه الله : وهذا حديث صحيح رواه جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ ، وأصحاب الحديث فيما ورد به الكتاب والسنة من أمثال هذا ، ولم يتكلم أحد من الصحابة والتابعين في تأويله . ثم إنهم على قسمين : منهم من قبله وآمن به ولم يؤوله ووكل علمه إلى الله ونفى الكيفية والتشبيه عنه . ومنهم من قبله وآمن به وحمله على وجه يصح استعماله في اللغة ولا يناقض التوحيد . وقد ذكرنا هاتين الطريقتين في كتاب الأسماء والصفات في المسائل التي تكلموا فيها من هذا الباب ، وفي الجملة يجب أن يعلم أن استواء الله سبحانه وتعالى ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج ولا استقرار في مكان ، ولا مماسة لشيء من خلقه ، لكنه مستو على عرشه كما أخبر بلا كيف بلا أين ، بائن من جميع خلقه ، وأن إتيانه ليس بإتيان من مكان إلى مكان ، وأن مجيئه ليس بحركة ، وأن نزوله ليس بنقلة ، وأن نفسه ليس بجسم ، وأن وجهه ليس بصورة ، وأن يده ليست بجارحة ، وأن عينه ليست بحدقة ، وإنما هذه أوصاف جاء بها التوقيف ، فقلنا بها ونفينا عنها التكييف ، فقد قال : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[سورة الشورى ، الآية : ١١] وقال : (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)[سورة الإخلاص ، الآية : ٤] . [2]

الجهة والمكان والحيز والصورة

قال الامام الرازي رحمه الله : واعلم ، أنه قد اشتهر في التفسير : أن النبي ﷺ سئل عن ما هية ربه ، وعن نعته وصفته ؟ فانتظر الجواب من الله فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه السورة [يعني سورة الاخلاص] . إذا عرفت هذا فنقول : هذه السورة يجب أن تكون من المحكمات ، لا من المتشابهات . لأنه تعالى جعلها جواباً عن سؤال السائل ، وأنزلها عند الحاجة . وذلك

(١) البرهان في علوم القرآن للامام الزركشي – ٢ / ٧٨

(٢) كتاب الاعتقاد للبيهقي : ٦٨

يقتضي كونها من المحكمات لا من المتشابهات ، وإذا ثبت هذا ، وجب الجزم بأن كل مذهب يخالف هذه السورة يكون باطلاً . فنقول : إن قوله تعالى (أَحَدٌ)يدل على نفي الجسمية ، ونفي الحيز والجهة .

أما دلالته على أنه تعالى ليس بجسم ، فذلك لأن الجسم أقله أن يكون مركباً من جوهرين ، وذلك ينافي الوحدة ولما كان قوله (أَحَدٌ)مبالغة في الوحدانية ، كان قوله (أَحَدٌ)منافياً للجسمية .

وأما دلالته على أنه ليس بجوهر . فنقول : أما الذين ينكرون الجوهر الفرد فإنهم يقولون : إن كل متحيز ، فلابد وأن يتميز أحد جانبيه عن الثاني . وذلك لأنه لابد من أن يتميز يمينه عن يساره ، وقدامه عن خلفه ، وفوقه عن تحته ، وكل ما يتميز فيه شيء عن شيء ، فهو منقسم ، لأن يمينه موصوف بأنه يمين لا يسار ، ويساره موصوف بأنه يسار لا يمين ، فلو كان يمينه عن يساره ، لاجتمع في الشيء الواحد ك أنه يمين ، وليس بيمين ، ويسار ، وليس بيسار فيلزم اجتماع النفي والإثبات في الشيء الواحد . وهو محال ، قالوا : فثبت : أن كل متحيز فهو منقسم ، وثبت أن كل منقسم فهو ليس بأحد ز ولما كان الله سبحانه و تعالى موصوفاً بأنه أحد ، وجب أن لا يكون متحيزاً أصلاً ، وذلك ينفي كونه جوهراً ....

ثم قال رحمه الله : واعلم ، أنه تعالى ، كما نص على أنه تعالى واحد ، فقد نص أيضاً على البرهان الذي لأجله يجب الحكم بأنه أحد . وذلك أنه قال (هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)وكونه إلها يقتضي كونه غنياً عما سواه ، وكل مركب فإنه مفتقر إلى كل واحد من أجزائه ، وكل واحد من أجزائه : غيره ، فكل مركب فهو مفتقر إلى غيره ، وكونه إلها يمنع من كونه مفتقراً إلى غيره . وذلك يوجب القطع بكونه أحداً . وكونه أحدا يوجب القطع بأنه ليس بجسم ولا جوهر ولا في حيز وجهة . فثبت : أن قوله تعالى (هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)برهان قاطع على ثبوت هذه المطالب .

وأما قوله سبحانه وتعالى (اللَّهُ الصَّمَدُ)فالصمد هو السيد المصمود إليه في الحوائج ، وذلك يدل على أنه ليس بجسم ، وعلى أنه غير مختص بالحيز والجهة.

أما بيان دلالته على نفي الجسمية فمن وجوه :

الأول : إن كل جسم فهو مركب ، وكل مركب فهو محتاج إلى كل واحد من أجزائه ، وكل واحد من أجزائه غيره . فكل مركب فهو محتاج إلى غيره ، والمحتاج إلى الغير لا يكون غنيا محتاجاً إليه فلم يكن صمداً مطلقاً .
الثاني : لو كان مركباً من الجوارح والأعضاء لاحتاج في الإبصار إلى العين ، وفي الفعل إلى اليد ن وفي المشي إلى الرجل . وذلك ينافي كونه صمداً مطلقاً .

الثالث : إنا نقيم الدلالة على أن الأجسام متماثلة. والأشياء المتماثلة يجب اشتراكها في اللوازم ، فلو احتاج بعض الأجسام إلى بعض ، لزم كون الكل محتاجاً إلى ذلك الجسم ، ولزم أيضاً كونه محتاجاً ذلك الجسم ، ولزم أيضاً كونه محتاجاً إلى نفسه.

وكل ذلك محال ، ولما كان ذلك محالا ، وجب أن لا يحتاج إلى شيء من الأجسام . ولو كان كذلك ، لم يكن صمداً على الإطلاق.

وأمان بيان دلالته على أنه سبحانه وتعالى منـزه عن الحيز والجهة : فهو أنه سبحانه وتعالى لو كان مختصاً بالحيز والجهة ، لكان إما أن يكون حصوله في الحيز المعين واجباً أو جائزاً . فإن كان واجباً فحينئذ يكون ذاته تعالى مفتقراً في الوجود والتحقق إلى ذلك الحيز المعين . وذلك الحيز المعين يكون غنياً عن ذاته المخصوص . لأنا لو فرضنا عدم حصول ذات الله تعالى في ذلك الحيز المعين لم يبطل ذلك الحيز أصلاً. وعلى هذا التقدير يكون تعالى محتاجاً إلى ذلك الحيز ، فلا يكون صمداً على الإطلاق . وأما إن كان حصوله في الحيز المعين جائزاً لا واجباً ، فحينئذ يفتقر إلى مخصص يخصصه بالحيز المعين . وذلك يوجب كونه محتاجاً ، وينافي كونه صمداً .

وأما قوله تعالى (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)فهذا أيضاً يدل على أنه ليس بجسم ولا جوهر لأنا سنقيم الدلالة على أن الجواهر متماثلة . فلو كان تعالى جوهراً ، لكان مثلاً لجميع الجواهر فكان كل واحد من الجواهر : كفؤا له . ولو كان جسماً لكان مؤلفاً من الجواهر . لأن الجسم يكون كذلك وحينئذ يعود الإلزام المذكور . فثبت : أن هذه السورة من أظهر الدلائل على أنه تعالى ليس بجسم ولا بجوهر ، ولا حاصل في مكان وحيز. (١)

وقال ابن عدي : حدثنا محمد بن هارون بن حسان ، حدثنا صالح بن أيوب ، حدثنا حبيب بن أبي حبيب ، حدثني مالك قال : يتنـزل ربنا تبارك وتعالى أمره فأما هو ، فدائم لا يزول .(٢)...

والامام الطبري السلفي رحمه الله يجعل فوقية الله على عباده فوقية القهر لا فوقية المكان والحيز حين قال في تفسير قوله تعالى (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)[سورة الأنعام ، الآية : ١٨] وإنما قال : (فَوْقَ عِبَادِهِ)، لأنه وصف نفسه تعالى ذكره بقهره إياهم . ومن صفة كل قاهر شيئا أن يكون مستعليا عليه . فمعنى الكلام إذا : والله الغالب عباده ، المذللهم ، العالي عليهم بتذليله لهم ، وخلقه إياهم ، فهو فوقهم بقهره إياهم ، وهم دونه (وَهُوَ الْحَكِيمُ)، يقول : والله الحكيم في علوه على عباده ، وقهره إياهم بقدرته ، وفي سائر تدبيره . (٣)
قال ابن حجر في شرحه لحديث النـزول قوله : ﴿ يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ﴾ استدل به من أثبت الجهة وقال : هي جهة العلو ، وأنكر ذلك الجمهور لأن القول بذلك يفضي إلى التحيز تعالى الله عن ذلك . وقد اختلف في معنى النـزول على أقوال : فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته وهم المشبهة تعالى الله عن قولهم . ومنهم من أنكر صحة الأحاديث الواردة في ذلك جملة وهم الخوارج والمعتزلة وهو مكابرة ، والعجب أنهم أولوا ما في القرآن من نحو ذلك وأنكروا ما في الحديث إما جهلا وإما عنادا ، ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمنا به على طريق الإجمال منـزها الله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور

---

(١) أساس التقديس للامام الرازي رحمه الله — ٣٠ – ٣٣

(٢) سير أعلام النبلاء : ٨ / ١٠٥

(٣) تفسير الطبري : ٥ / ١٦١

السلف ، ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة والسفيانين والحمادين والأوزاعي والليث وغيرهم ، ومنهم من أوله على وجه يليق مستعمل في كلام العرب ، ومنهم من أفرط في التأويل حتى كاد أن يخرج إلى نوع من التحريف ، ومنهم من فصل بين ما يكون تأويله قريبا مستعملا في كلام العرب وبين ما يكون بعيدا مهجورا فأول في بعض وفوض في بعض ، وهو منقول عن مالك وجزم به من المتأخرين ابن دقيق العيد . (١)

وقال الامام النووي رحمه الله في شرح مسلم : قوله ﷺ ﴿ يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِى فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ﴾ هذا الحديث من أحاديث الصفات ، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء سبق إيضاحهما في كتاب الإيمان ومختصرهما أن أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين : أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى ، وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ، ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنـزيه الله تعالى عن صفات المخلوق ، وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق . والثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها . (٢)

فقرر الامام النووي رحمه الله التأويل في هذا الحديث عن جماعات من السلف بما فيهم امام دار الهجرة الامام مالك ، والامام الأوزاعي رحمهما الله.

وقال الامام النووي ايضا في شرح مسلم : قوله ﷺ ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ﴾ فهو من أحاديث الصفات ، وقد سبق في كتاب الإيمان بيان حكمها واضحا ومبسوطا ، وأن من العلماء من يمسك عن تأويلها ، ويقول : نؤمن بأنها حق ، وأن ظاهرها غير مراد ، ولها معنى يليق بها ، وهذا مذهب جمهور السلف ، وهو أحوط وأسلم . والثاني أنها تتأول على حسب ما يليق بتنـزيه الله تعالى ، وأنه ليس كمثله شيء . قال المازري : هذا الحديث بهذا اللفظ ثابت ، ورواه بعضهم : ﴿ إن الله خلق آدم على صورة الرحمن ﴾ ، وليس بثابت عند أهل الحديث ، وكأن من نقله رواه بالمعنى الذي وقع له ، وغلط في ذلك . قال المازري : وقد غلط ابن قتيبة في هذا الحديث ، فأجراه على ظاهره ، قال : لله تعالى صورة لا كالصور . وهذا الذي قاله ظاهر الفساد؛ لأن الصورة تفيد التركيب ، وكل مركب محدث ، والله تعالى ليس هو مركبا ، فليس مصورا . قال : وهذا كقول المجسمة : جسم لا كالأجسام لما رأوا أهل السنة يقولون : الباري شيء لا كالأشياء طردوا الاستعمال فقالوا : جسم لا كالأجسام . والفرق أن لفظ شيء لا يفيد الحدوث ، ولا يتضمن ما يقتضيه ، وأما جسم وصورة فيتضمنان التأليف والتركيب ، وذلك دليل الحدوث . قال : العجب من ابن قتيبة في قوله : صورة لا كالصور ، مع أن ظاهر الحديث على رأيه يقتضي خلق آدم على صورته ، فالصورتان على رأيه سواء ، فإذا قال : لا كالصور تناقض قوله . ويقال له أيضا : إن أردت بقولك : صورة لا كالصور أنه ليس بمؤلف ولا مركب فليس بصورة حقيقية ، وليست اللفظة على ظاهرها ، وحينئذ يكون موافقا على افتقاره إلى التأويل ، واختلف العلماء في تأويله فقالت طائفة : الضمير في ﴿ صورته ﴾ عائد على الأخ المضروب ، وهذا ظاهر

---

(١) فتح الباري لابن حجر – ٤ / ١٣٢

(٢) شرح النووي على مسلم

رواية مسلم ، وقالت طائفة : يعود إلى آدم ، وفيه ضعف ، وقالت طائفة : يعود إلى الله تعالى ، ويكون المراد إضافة تشريف واختصاص كقوله تعالى : (نَاقَةُ اللَّهِ)وكما يقال في الكعبة " بيت الله " ونظائره والله أعلم . [١]

ويقول الامام الرازي رحمه الله : واعلم : أنه كما أن الكفار لما سألوا الرسول ﷺ عن صفة ربه ، وأجاب الله بهذه السورة ، الدالة على كونه تعالى منـزهاً عن أن يكون جسماً أو جوهراً أو مختصا بالمكان ، فكذلك فرعون سأل موسى عليه السلام عن صفة الله تعالى . فقال (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ)؟ ثم إن موسى عليه السلام لم يذكر الجواب عن هذا السؤال ، إلا بكونه تعالى خالقاً للناس ومدبراً لهم ، وخالقاً للسموات والأرض ومدبراً لهما . وهذا أيضاً من أقوى الدلائل على أنه تعالى ليس بمتحيز ولا في جهة . لأنا سنبين إن شاء الله تعالى أن كون الشيء حجماً ومتحيزاً ، هو عين الذات ونفسها وحقيقتها ؛ لا أنه صفة قائمة بالذات ، وأما كونه خالقاً للأشياء ومدبراً لها فهو صفة .

ولفظة (ما)سؤال عن الماهية ، وطلب للحقيقة . فلو كان تعالى متحيزاً ، لكان الجواب عن قوله (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ)؟ بذكر كونه متحيزاً : أولى من الجواب عنه بذكر كونه خالقاً . ولو كان الأمر كذلك ، لكان جواب موسى عليه السلام خطأ ، ولكان طعن فرعون بأنه مجنون لا يفهم السؤال ، ولا يذكر في مقابلة السؤال ما يصلح أن يكون جواباً : متجهاً لازماً . ولما بطل ذلك ، علمنا أنه تعالى ما كان متحيزاً. فلا جرم ما كان يمكن تعريف حقيقته سبحانه وتعالى إلا بأنه خالق مدبر . فلا جرم كان جواب موسى عليه السلام صحيحاً ، وكان سؤال فرعون ساقطاً فاسداً . فثبت : أنه كما أن جواب محمد ﷺ عن سؤال الكفار عن صفة الله تعالى : يدل عن تنـزيه الله تعالى عن التحيز ، فكذلك جواب موسى عليه السلام عن سؤال فرعون عن صفة الله تعالى : يدل على تنـزيه الله تعالى . [٢]

قال الذهبي : قال ابن القاسم : سألت مالكا عمن حدث بالحديث ، الذين قالوا : ﴿ إن الله خلق آدم على صورته ﴾ والحديث الذي جاء : ﴿ إن الله يكشف عن ساقه ﴾ ﴿ وأنه يدخل يده في جهنم حتى يخرج من أراد ﴾ فأنكر مالك ذلك إنكارا شديدا ، ونهى أن يحدث بها أحد ، فقيل له : إن ناسا من أهل العلم يتحدثون به ، فقال : من هو ؟ قيل : ابن عجلان عن أبي الزناد ، قال : لم يكن ابن عجلان يعرف هذه الاشياء ، ولم يكن عالما .....

ثم قال : فقولنا في ذلك وبابه : الاقرار ، والامرار ، وتفويض معناه إلى قائله الصادق المعصوم .

قال بدر الدين بن جماعة : واتفق السلف وأهل التأويل على أن ما لا يليق من ذلك بجلال الرب تعالى غير مراد كالقعود والاعتدال واختلفوا في تعيين ما يليق بجلاله من المعاني المحتملة كالقصد والاستيلاء فسكت السلف عنه وأوله المؤولون على الاستيلاء والقهر لتعالي الرب عن سمات الأجسام من الحاجة إلى الحيز والمكان وكذلك لا يوصف بحركة أو سكون أو اجتماع وافتراق لأن ذلك كله من سمات المحدثات وعروض الأعراض والرب تعالى مقدس عنه . [٣]

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم

(٢) أساس التقديس — ٣٣ ، ٣٤

(٣) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل : ٩١

يقول العلامة أبو بكر الحصني الدمشقي : ..... ومنها حديث النـزول وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال ﴿ يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِى فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ﴾ إلى آخره وهذا الحديث رواه عشرون نفسا من الصحابة ﷺ وقد تقدم أنه يستحيل على الله ﷻ الحركة والتنقل والتغير ، لأن ذلك من صفات الحدث ، فمن قال ذلك في حقه تعالى فقد ألحقه بالمخلوق ، وذلك كفر صريح ، لمخالفة القرآن في تنـزيهه لنفسه ؛ ومن العجب العجيب أن يقرأ أحدهم قوله تعالى (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ)[سورة الحديد ، الآية : ٢٥] مع أن معدنه في الأرض وقوله تعالى (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ)[سورة الزمر ، الآية : ٦] فيالله العجب من شخص لم يعرف نزول الجمل كيف يتكلم في تفصيلها وقد قال تعالى (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ)[سورة المائدة ، الآية : ٤٨] وقال تعالى (قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا)[سورة الطلاق ، الآية : ١٠] فنسب الإنزال إلى هاتين الغايتين إليه وقد قال تعالى (مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ)أي ببدعته (فَلاَ هَادِيَ لَهُ)ونذرهم في طغيانهم يعمهون والعمه في البصيرة كما أن العمى في البصر والعمه في البصيرة منه الهلكة أعاذنا الله من ذلك . وروى أبو عيسى الترمذي عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينه وإبن المبارك أنهم قالوا : أمروا هذه الأحاديث بلا كيف ، قال الأئمة : فواجب على الخلق إعتقاد التنـزيه وإمتناع تجويز النقلة والحركة فإن النـزول الذي هو إنتقال من مكان إلى آخر يفتقر الى الجسمية والمكان العالي والمكان السافل ضرورة ، كما في قوله تعالى (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ)فإن الفوقية بإعتبار المكان لا تكون بالضرورة إلا في الأجرام والأجسام مركبة كانت أو بسيطة والرب منـزه عن ذلك ، إذ هو من صفات الحدث . [١]

مذهب التفويض والتأويل مذهب الأمة المسلمة سلفا وخلفا

ولقد بين الله تبارك وتعالى انه وردت في كتابه العزيز آيات محكمات واضحة المعنى صريحة اللفظ وآيات متشابهات غير متضح المعنى المقصود منها على الوجه الذي اراد الله به كما وردت بعض الأحاديث متشابهة لم يقصد منها ظاهره ، لاستحالته على الله . فليس على المؤمن الا ان يترك الخوض في تفسيرها ، والغوص في معناها ، وان لايتبعها ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ليفتن بها الناس في عقيدتهم .

ولم يكن المسلمون الأولون في خير القرون – وهم خير هذه الأمة وقدوتها – يتكلمون ويخوضون في مثل هذه الآيات والأحاديث مما يوهم ظاهره ما قامت الأدلة على استحالته في حق الباري تعالى ونفيه . بل آمنوا بها كما جائت من عند الله على مراده تبارك وتعالى بعد ان قطعوا بتنـزيه الله عن المعاني الظاهر القاموسي لهذه المتشابهات .

تتبين بعد التحقيق انه ليس هناك مذهب سلف ومذهب خلف بهذا المعنى ، بل ان التفويض والتأويل مذهبان عند السلف والخلف ، الا ان مذهب التفويض كانت دائرته متسعة ومنتشرة عند السلف ، لفرط خشيتهم لله وعدم الحوافز للتاويل ، لأنه لم يكن في عهدهم من يصف الله بصفات الناقصة ويحمل قوله تعالى وقول رسوله ﷺ على غير محمله ؛ واما الخلف فكان

---

(١) دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد لأبي بكر الحصني الدمشقي : ١ / ١٣

مذهب التأويل عندهم أوسع وأحوج اليه ، فضاقت دائرة مذهب التفويض عندهم ، لما كانت الحوافز التي فرضت عليهم ذلك . . . منها :

اتساع دائرة الدولة الاسلامية لكثرة الفتوحات المتوالية ودخول كثير من المجتمعات والأمم غير العربية في دين الله أفواجا ، وبالتالي ظهور مستجدات جديدة مما أدت الى تلاحم الأفكار والآراء مع الأمم الأخرى .

انتشار علم الكلام وكثرة الاختلافات التي أوجدها الواقع وتأثير عقول العامة بها وعلى أثرها تسلل الآراء والشبه الفاسدة الى عقائد المسلمين.

بعد مجتمع الخلف عن التنـزيل .

ولما توافرت هذه الأسباب كلها ، لم يجدوا بدا لرد هذه الشبهات والتخلص بعامة المسلمين من الأفكار الفاسدة والعقائد الباطلة ، الا اللجوء الى تأويل هذه المتشابهات من القرآن والأحاديث النبوية ، تكلمو فيها وفهموها على طريقة العرب ، وأولوها بما يضعها على صراط واحد من الوفاق مع النصوص المحكمة الأخرى التي تقطع بتنـزه الله عن الجهة والمكان والجارحة .

كائنا ما كان ، كل من هذين المذهبين مذهب الأمة المسلمة سلفا وخلفا ، وليس أحدهما مذهب سلف والآخر مذهب خلف . ومما ينبغي على المسلم ان يعلم ان منهج التفويض كان أفضل وأسلم وأوفق مع الايمان الفطري في عصر السلف فلم يجنح عنها أكثرهم . واما منهج التأويل فأصبح في عصر الخلف هو المصير الذي لا يمكن التحول عنه ، جراء ما قامت فيه من المناقشات الفكرية والمجادلات الكلامية . والمهم ان يعلم المسلم ان كلا من هذين المذهبين منهجان الى غاية واحدة ، ألا وهي تنـزيه الله عن جميع صفات النقص لأنه (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)لا يشبهه شيئ من مخلوقاته . فطريقة التفويض أسلم وطريقة التأويل أحكم . وكل من المفوضة والمؤولة كان ولم يزل متفقين على ان هذه الآيات والأحاديث جاء بها النبي المعصوم والصادق المصدوق ﷺ وحق كل ما جاء به الرسول ﷺ من عند ربه التسليم والقبول (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)
من انكر منها شيئا كفر ، ومن عطلها تماما فجعلها الفاظا فارغة كفر ، ومن فهمها بالمعنى البشري وطبقه على الله فجعل الخالق كالمخلوق كفر ، فالمسلك خطر والمفازة مهلكة ، والنجاة منها باجتناب الخوض فيها .

واما الذين جاؤو من بعدهم رافضين هذين المذهبين تاركين هذه النصوص المتشابهات على ظاهرها وعلى معانيها القاموسي ، واثبتوا لله الجوارح والجهة والمكان والحيز والدخول والخروج والانتقال وغيرها من صفات المخلوقين والتي أجمعت الأمة على نفيها وتنـزيه الله عنها فانهم لا محالة مجسمة وان كانوا يبرؤون أنفسهم منها ، والسلف والخلف منهم براء .

قال الامام النووي رحمه الله في شرح المهذب { فرع } اختلفوا في آيات الصفات وأخبارها هل يخاض فيها بالتأويل أم لا؟ فقال قائلون تتأول على ما يليق بها ، وهذا أشهر المذهبين للمتكلمين؛ وقال آخرون : لا تتأول بل يمسك عن الكلام في معناها

ويوكل علمها إلى الله تعالى ، ويعتقد مع ذلك تنـزيه الله تعالى وانتفاء صفات الحادث عنه : فيقال مثلا نؤمن بأن (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)ولا نعلم حقيقة معنى ذلك والمراد به مع أنا نعتقد أن الله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)وانه منـزه عن الحلول وسمات الحدوث ، وهذه طريقة السلف أو جماهيرهم ، وهي أسلم ، إذ لا يطالب الانسان بالخوض في ذلك ، فإذا اعتقد التنـزيه فلا حاجة إلى الخوض في ذلك والمخاطرة فيما لا ضرورة بل لا حاجة إليه ، فان دعت الحاجة إلى التأويل لرد مبتدع ونحوه تأولوا حينئذ؛ وعلى هذا يحمل ما جاء عن العلماء في هذا والله أعلم .[١]

يقول الامام العز بن عبد السلام في فتاواه وليس الكلام في هذا [يعني التأويل] بدعة قبيحة ، وانما الكلام فيه بدعة حسنة واجبة لما ظهرت الشبهة ، وانما سكت السلف عن الكلام فيه اذ لم يكن في عصرهم من يحمل كلام الله وكلام رسوله ﷺ على ما لا يجوز حمله عليه، ولو ظهرت في عصرهم شبهة لكذبوهم وانكروا عليهم غاية الانكار، فقد رد الصحابة والسلف على القدرية لما أظهروا بدعتهم ، ولم يكونو قبل ظهورهم يتكلمون في ذلك . [٢]

وقال العلامة ملا علي القارئ مبررا لمسلك اكثر الخلف : ولم يريدوا بذلك مخالفة السلف الصالح – معاذ الله أن يظن بهم ذلك – وإنما دعت الضرورة في أزمنتهم لذلك لكثرة المجسمة والجهمية وغيرهما ، من فرض الضلال واستيلائهم على عقول العامة ، فقصدوا بذلك ردعهم وبطلان قولهم ، ومن ثم اعتذر كثير منهم ، وقالوا لو كنا على ما كان عليه السلف الصالح من صفاء العقائد وعدم المبطلين في زمنهم لم نخض في تأويل شيء من ذلك؛ [٣]

قال الامام الزركشي : قلت وإنما حملهم على التأويل وجوب حمل الكلام على خلاف المفهوم من حقيقته لقيام الأدلة على استحالة المتشابه والجسمية في حق البارئ تعالى والخوض في مثل هذه الأمور خطره عظيم .[٤]
نقل العلامة ملا علي القاري ايضا عن ابن حجر الهيتمي ﷺ اثناء شرح حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ ﴿ إِنَّ قُلُوبَ بَنِى آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ﴾ .[٥] : قال ابن حجر أكثر السلف لعدم ظهور أهل البدع في أزمنتهم يفوضون علمها إلى الله تعالى مع تنـزيهه سبحانه عن ظاهرها الذي لا يليق بجلال ذاته وأكثر الخلف يؤولونها بحملها على محامل تليق بذلك الجلال الأقدس والكمال الأنفس لإضطرارهم إلى ذلك لكثرة أهل الزيغ والبدع في أزمنتهم ومن ثم قال إمام الحرمين لو بقي الناس على ما كانوا عليه لم نؤمر بالإشتغال بعلم الكلام وأما الآن فقد كثرت البدع فلا سبيل إلى ترك أمواج الفتن تلتطم . [٦]

---

(١) المجموع (شرح المهذب) للإمام النووي : ١ / ٢٥

(٢) فتاوى العز بن عبد السلام : ٢٢

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا علي القاري : ٣ / : ٢٩٩

(٤) البرهان في علوم القرآن للامام الزركشي : ٢ / ٨٠

(٥) رواه مسلم باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء

(٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١ / ٢٧٩ – ٢٨٠

وقال عندما شرح حديث ابي هريرة ﷺ ﴿ وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ﴾ أي كائنة بنعمته وحاصلة بقدرته وثابتة بإرادته ووجه استعارة اليد للقدرة أن أكثر ما يظهر سلطانها في أيدينا وهي من المتشابهات ومذهب السلف فيها تفويض علمه إلى الله تعالى مع التنـزيه عن ظاهره وهو أسلم حذرا من أن يعين له غير مراد له تعالى ويؤيده وقف الجمهور على الجلالة في قوله تعالى (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ)وعدوه وقفا لازما وهو ما في وصله إيهام معنى فاسد ومن ثم قال أبو حنيفة رحمه الله تأويل اليد بالقدرة يؤدي إلى تعطيل ما أثبته تعالى لنفسه وإنما الذي ينبغي الإيمان بما ذكره الله تعالى من ذلك ونحوه على ما أراده ولا يشتغل بتأويله فنقول له يد على ما أراده لا كيد المخلوقين ومذهب الخلف فيها تأويله بما يليق بجلال الله تعالى وتنـزيهه عن الجسم والجهة ولوازمها بناء على أن الوقف على الراسخون في العلم وكان ابن عباس يقول أنا أعلم تأويله وأنا من الراسخين في العلم قيل وهذا أعلم وأحكم أي يحتاج إلى مزيد علم وحكمة حتى يطابق التأويل سياق ذلك النص وليس المعنى أن مذهب الخلف أكثر علما فالمذهبان متفقان على التنـزيه وإنما الخلاف في أن الأولى ماذا أهو التفويض أم التأويل ويمكن حمل الخلاف على اختلاف الزمان فكان التفويض في زمان السلف أولى لسلامة صدورهم وعدم ظهور البدع في زمانهم والتأويل في زمان الخلف أولى لكثرة العوام وأخذهم بما يتبادر إلى الأفهام وغلو المبتدعة بين الأنام والله أعلم بالمرام .(1)

المتشابهات لا يصلح التحدث بها عند العامة

سبق معنا القول : ان المسلك خطر ، خطر جدا .... والنجاة ان ترد المعاني المرادة منها الى الله وترك الخوض فيها؛ وليس من الحكمة في شيئ القاء مثل هذه النصوص على العامة وتعريضهم بهذا الصنيع الشنيع للفتنة في عقائدهم . ومن منا لايدري ان جميع اللغات انما وضعت فقط لمعان ارضية مادية ، رغم ذلك انها لشدما عجزت عن التعبير عن العواطف والمشاعر البشرية هي الأخرى! ! فضلا عن التعبير عن صفات الله خالق البشر ومشاعره! ! فاذن لا ريب ان الكلام يتعين في الحقيقة والظاهر مادام ذلك ممكنا ، والا فبالمجاز . . . واذا نظرنا الى الفاظ [استوى ، وجاء ، وخادع ، ومكر ، ونسي ، ضحك ، عجب ، يد، ساق ، نزول . . . . . .] انما وضعت لمعان ارضية مادية . ولما استعملت هذه الألفاظ في القرآ والأحاديث (اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)(وَجَاءَ رَبُّكَ)(وَهُوَ خَادِعُهُمْ)(وَيَمْكُرُ اللَّهُ)(فَنَسِيَهُمْ)(يدالله فوق ايديهم)(يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ).... ﴿ ضحك الله من فعالكما ﴾ ﴿ يَنْزِلُ رَبُّنَا ..... ﴾ كان من الخطأ ان يفهمها على معانيها الظاهرة المادية الحسية . والعامة كثيراما لا يقفون الا على هذه المعاني الحسية؛ فالقاء مثل هذه النصوص عليهم ، والاتخاذ منها موضع نقاش لا يزيد المشكلة الا تعقيدا ولا الطين الا بلة . على ان الأخبار قد تواردت في النهي عنه ، وروى الامام مسلم ﷺ عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال ﴿ مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لاَ تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلاَّ كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً ﴾ .(2)

وقد افرد الامام البخاري رحمه الله بابا خاصا بـ " باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا " وأورد فيه عن علي بن ابي طالب ﷺ حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ (3)

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : ١ / : ١٥٠

(٢) صحيح مسلم : باب النَّهْىِ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ

(٣) صحيح البخارى : باب مَنْ خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهِيَةَ أَنْ لاَ يَفْهَمُوا

قال العيني : وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة.[1]

قال الحافظ : وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة ...... وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة وظاهره في الأصل غير مراد ، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب . والله أعلم . [2]

التأويل عند السلف

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ في بيت ميمونة فوضعت له وضوءا ، فقالت له ميمونة : وضع لك عبد الله بن العباس وضوءا ، فقال : ﴿ اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ﴾ هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه. [3]

وروى الحاكم ايضا : عن زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، حدثني أبي قال : سمعت أبي يقول : قال : بعث العباس ابنه عبد الله إلى النبي ﷺ ، فنام وراءه وعند النبي ﷺ رجل ، فالتفت النبي ﷺ فقال : متى جئت يا حبيبي ؟ قال : مذ ساعة ، قال : هل رأيت عندي أحدا ؟ قال : نعم ، رأيت رجلا ، قال : ذاك جبريل عليه السلام ، ولم يره خلق إلا عمي إلا أن يكون نبيا ولكن أن يجعل ذلك في آخر عمرك ثم قال : اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين واجعله من أهل الإيمان . . . هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . [4]

ومن هذا ندرك انه يعلم تأويل تلك الآيات المتشابهات الراسخون في العلم هم الآخرون ، لأنه لو كان لا يعلم تأويله الا الله فقط فلا معنى لدعاء رسول الله ﷺ لعلي بن ابي طالب و عبد الله بن عباس رضي الله عنهم ﴿ اللهم علمه التأويل ﴾.

وايضا لو لم يعرف الراسخون في العلم تأويله ، فلا طائل تحت ذكر الراسخين هنا ، لأن غير الراسخين من العلماء ايضا يقولون : آمنا به كل من عند ربنا فماذا فائدة ذكر الراسخين في العلم؟ ومن هنا ندرك معنى الآية انه يعلم تأويله الله والذين اختارهم الله وارتضاهم من عباده من الراسخين في العلم اي يعلمهم الله تعالى حال كونهم قائلين آمنا به كل من عند ربنا ...

نماذج من تأويلات السلف الصالح للمتشابهات من القرآن والسنة

وليعلم أولئك الذين يوجهون على الأشاعرة وعلماء الأمة من الخلف أصابع التهم جراء جنحهم الى التأويل ان الذين سلكوا مسلك التأويل بشروطه لم يحدثوا بجديد من القول ولا اخترعوا مبتدعا من الفعل ولا انتهجوا منهجا جديدا على الملة الاسلامية قاطبة بل نسجوا على منوال ما كان عليه ثلة كبيرة من السلف الصالح الذين قالوا بالتأويل وأخذوا به ، فمن هنا ندرك سنية هذا المذهب وشرعيته .

واليك بعضا من نماذج تأويلات السلف الصالح رحمهم الله ورحمنا معهم أجمعين .

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري : ٣ / ٤١٧

(٢) فتح الباري لابن حجر : ١ / ٢٠٣

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم ذكر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب

(٤) المرجع السابق

تأويلهم للكرسي :

يؤول حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس ﷺ بأن الكرسي هو علمه تعالى : قال بن جرير الطبري رحمه الله : حدثنا أبو كريب وسلم بن جنادة ، قالا حدثنا ابن إدريس ، عن مطرف ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ)قال : كرسيه علمه .[١]

قال الحافظ ابن كثير : وقوله (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن إدريس عن مطرف بن طريف عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله : (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ)قال : علمه ، [٢]

تأويلهم ﷺ لقوله تعالى (وَجَاءَ رَبُّكَ)

يؤول ابن عباس ﷺ مجيئه تعالى بأنه أمره وقضاؤه : يقول حافظ الدين أبو البركات النسفي (وَجَاءَ رَبُّكَ)تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه ، فإن واحدا من الملوك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة ما لا يظهر بحضور عساكره وخواصه ، وعن ابن عباس : أمره وقضاؤه .[٣]
الامام الحسن البصري يؤول مجيئه تعالى بأنه مجيئ أمره وقضاؤه . قال الامام القرطبي رحمه الله : قوله تعالى (وَجَاءَ رَبُّكَ)أي أمره وقضاؤه ، قاله الحسن .[٤]

ثم قال : جعل مجئ الآيات مجيئا له ، تفخيما لشأن تلك الآيات . ومنه قوله تعالى في الحديث ﴿ يا بن آدم ، مرضت فلم تعدني ، واستسقيتك فلم تسقني واستطعمتك فلم تطعمني ﴾ .

وأردف قائلا : قال أهل الاشارة : ظهرت قدرته واستولت؛ والله جل ثناؤه لا يوصف بالتحول من مكان إلى مكان ، وأنى له التحول والانتقال ، ولا مكان له ولا أوان ، ولا يجري عليه وقت ولا زمان ، لأن في جريان الوقت على الشئ فوت الاوقات ، ومن فاته شئ فهو عاجز . قال البغوي (وَجَاءَ رَبُّكَ)قال الحسن : جاء أمره وقضاؤه .[٥]

الامام أحمد بن حنبل يؤول مجيئه تعالى بأنه مجيئ ثوابه :

---

(١) تفسير الطبري : ٥ / ٣٩٧
(٢) تفسير ابن كثير : ١ / ٦٨٠
(٣) تفسير النسفي : ٤ / ٣١
(٤) تفسير القرطبي : ٢٠ / ٥٥
(٥) تفسير البغوي – معالم التنزيل – ٨ / ٤٢٢

قال الحافظ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية : وروى البيهقي عن الحاكم عن أبي عمرو بن السماك عن حنبل أن أحمد بن حنبل تأول قول الله تعالى (وَجَاءَ رَبُّكَ)أنه جاء ثوابه . ثم قال البيهقي : وهذا إسناد لا غبار عليه .[١]

قال أبو بكر الحصني الدمشقي رحمه الله : ومن ذلك قوله تعالى (وَجَاءَ رَبُّكَ)قال الإمام أحمد : معناه جاء أمر ربك قال القاضي أبو يعلى : قال الإمام أحمد : المراد به قدرته وأمره وقد بينه في قوله تعالى (أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ)يشير إلى حمل المطلق على المقيد ، وهو كثير في القرآن والسنة والإجماع وفي كلام علماء الأمة؛ لأنه لا يجوز عليه الإنتقال ؛ ومثله حديث النـزول، وممن صرح بذلك الإمام الأوزاعي والإمام مالك، لأن الإنتقال والحركة من صفات الحدث والله ﷻ قد نزه نفسه عن ذلك؛ ومن ذلك قوله تعالى (اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)..... [٢]

تأويلهم للعين في قوله تعالى (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا)وقوله تعالى : (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا)
نقل الامام البغوي رحمه الله (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا)قال ابن عباس بمرأى منا . وقال مقاتل : بعلمنا .[٣]
وقال الامام الطبري رحمه الله (فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا):يقول جل ثناؤه : فإنك بمرأى منا نراك ونرى عملك ، ونحن نحوطك ونحفظك ، فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين .[٤]
(فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا)فيه ثلاثة أوجه : أحدها : بعلمنا ، قاله السدي . الثاني : بمرأى منا ، حكاه ابن عيسى . الثالث : بحفظنا وحراستنا ، ومنه قوله تعالى لموسى (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)[سورة طه ، لآية : ٣٩] بحفظي وحراستي ، قاله الضحاك .[٥]

تأويلهم ﷺ للفظ " اليد "

تأويل الامام الطبري : في قوله (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)وجهان من التأويل : أحدهما : يد الله فوق أيديهم عند البيعة ، لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيه ﷺ ؛ والآخر : قوة الله فوق قوتهم في نصرة رسوله ﷺ ، لأنهم إنما بايعوا رسول الله ﷺ على نصرته على العدو .[٦]

(١) البداية والنهاية للامام ابن كثير – ١٠ / ٣٦١
(٢) دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد لأبي بكر الحصني الدمشقي : ١ / ٢
(٣) تفسير البغوي – ٤ / ١٧٣
(٤) تفسير الطبري – ٢٢ / ٤٨٨
(٥) النكت والعيون للماوردي – ٤ / ١٨٤
(٦) تفسير الطبري – ٢٢ / ٢١٠

تأويل ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم : جاء في تفسير الطبري : القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾[سورة الذاريات ، الآية : ٤٧ ، ٤٨] يقول تعالى ذكره : والسماء رفعناها سقفا بقوة . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك : حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾يقول : بقوة . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ﴿ بِأَيْدٍ ﴾قال : بقوة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾: أي بقوة .
حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور أنه قال في هذه الآية ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾قال : بقوة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾قال : بقوة . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا مهران ، عن سفيان ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾قال : بقوة .[١]

لماذا استعملت المتشابهات في القرآن والأحاديث ؟
قد خالج كثيرا من الناس شك ، انه لولم تكن ظواهر هذه المتشابهات حقيقة واقعية ومرادا لله ورسوله ، ثم لماذا استعمله الله في القرآن ؟ ولما أطلق رسول الله ﷺ في حق الله تبارك وتعالى تلك الألفاظ الموهمة للتجسيم والتشبيه ؟ أو ليس يعلم ان هذه الألفاظ سوف يضل به الكثيرون ، فيعتقدون في الله التجسيم والتشبيه ؟ ألم يقل ﴿ قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِى إِلاَّ هَالِكٌ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِى وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ﴾ [٢]

وهذه المريات قد دفع البعض من الطائفة الضالة على ادعائهم : ان الله ورسوله كان مرادهم بهذه الألفاظ ما يدل ظاهرها ، الا ان بعض المحتالين منهم قالوا بالتشبيه ليضل به الناس ثم قالوا " يد لا كأيدينا " ، " صورة لا كصورتنا " ، " نزول لا كنـزولنا " ، " انتقال لا كانتقالنا " ، " مرض لا كمرضنا " ...... الى آخره ! ! واحتجوا بما ورد من هذا القبيل من الألفاظ ، وتعاموا عن مواقف العلماء بما فيهم جماعات من السلف الصالح من أمثال حبر الأمة ابن عباس رحمه الله وغيره ازاء هذه المتشابهات . ولم يقفوا عند هذا الحد فحسب ، بل افتروا على السلف كذبا وزورا انهم كانوا يعتقدون في الله هذه الصفات الناقصة من أمثال الجوارح ، والانتقال والاتصال والانفصال وغيرها مما هو ضلال بين .

---

(١) تفسير الطبري – ٢٢ / ٤٣٨

(٢) سنن ابن ماجه باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ؛ المستدرك على الصحيحين للحاكم حديث عبد الله بن مسعود

فليتفطن هؤلاء أولا ان النبي ﷺ ما كان يطلق هذه الكلمات اطلاقا ، ويسوقها اليهم سوقا وهم على الجهل التام عن الله وصفاته وعما ينبغي الاعتقاد في الله ... بل اطلق ﷺ هذه العبارات أمامهم بعد ان علمهم تنـزيه الله وتقديسه وأكد لهم انه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ؛ ثم بعد ذلك نهاهم عن الخوض في آيات المتشابهات وعن التفكر في الذات الالهية نهيا في قوله ﷺ ﴿ تَفَكَّرُوا فِي آلاءِ اللَّهِ ، وَلا تَتَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ ﴾.[١] وجاء في كتاب " تَهْذِيْبُ سُنَنِ أَبِي دَاودَ وَإِيضاحِ مُشكِلاتِهِ " لابن قيّم الجوزية : وَفِي كِتَاب السُّنَّة لِعَبْدِ اللَّه بْن أَحْمَد – مِنْ حَدِيث سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ اِبْن عَبَّاس قَالَ " تَفَكَّرُوا فِي كُلّ شَيْء وَلَا تَفَكَّرُوا فِي ذَات اللَّه فَإِنَّ بَيْن السَّمَاوَات السَّبْع إِلَى كُرْسِيّه سَبْعَة آلَاف نُور وَهُوَ فَوْق ذَلِكَ " [٢] ورواه أيضا البيهقي في الأسماء والصفات . [٣]

ثم بعد كل هذا استعمل لهم هذه الألفاظ استعارة ومجازا تارة ، وضربا للمثل تارة أخرى ، تقريبا للمعنى إلي الفهم . كما كان ذلك عادة العرب . فلا يفهم منه أحد غير ذلك . يقول الامام الغزالي رحمه الله : ان قال قائل ما الذي دعا رسول الله ﷺ الى اطلاق هذه الألفاظ الموهمة مع الاستغناء عنها ؟ أكان لا يدري انه يوهم التشبيه ويغلط الخلق ويسوقهم الى اعتقاد الباطل في ذات الله تعالى وصفاته ؟ وحاشا منصب النبوة ان يخفى عليه ذلك ، أو عرف ولكن لم يبال بجهل الجهال وضلالة الضلال ؟ وهذا ابعد واشنع لأنه بعث شارحا ، لامبهما ملبسا ملغزا ، وهذا اشكال له وقع في القلوب حتي جر بعض الخلق الى سوء الاعتقاد فيه ، فقالوا : لو كان نبيا لعرف الله ولو عرفه لما وصفه بما يستحيل عليه في ذاته وصفاته ؛ ومالت طائفة أخرى الى اعتقاد الظواهر ، وقالوا لو لم يكن حقا لما ذكره كذلك مطلقا ، ولعدل عنها الى غيرها ، أو قرنها بما يزيل الايهام عنها في سبيل حل هذه الاشكال العظيم .

فالجواب : أن هذا الاشكال منحل عند أهل البصيرة وبيانه أن هذه الكلمات ما جمعها رسول الله ﷺ دفعة واحدة وما ذكرها وانما جمعها المشبهة، وقد بيننا ان لجمعها من التأثير في الايهام والتلبيس على الأفهام ما ليس لآحادها المفرقة .

وانما هي كلمات لهج بها في جميع عمره ﷺ في أوقات متباعدة ، واذا اقتصر منها على ما في القرآن والأخبار المتواترة رجعت الى كلمات يسيرة معدودة ، وان اضيفت اليها الأخبار الصحيحة فهي ايضاقليلة ، وانما كثرت الروايات الشاذة الضعيفة التي لا يجوز التعويل عليها ، ثم ما تواتر منها ان صح نقلها عن العدول فهي آحاد كلمات ، وما ذكر ﷺ كلمة منها الا مع قرائن واشارات يزول معها ايهام التشبيه . وقد أدركها الحاضرون المشاهدون ، فاذا نقلت الألفاظ مجردة عن تلك القرائن ظهر الايهام ؛ وأعظم القرائن في زوال الايهام المعرفة السابقة بتقديس الله تعالى عن قبو ل ذلك هذه الظواهر ، ومن سقت معرفته بذلك كانت تلك المعرفة دخيرة له راسخة في نفسه مقارنة لكل ما يسمع ، فينمحق معه الايهام انمحاقا لا يشك فيه ، ويعرف

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي : باب في الإيمان بالله ﷻ ؛ ورواه الطبراني في المعجمين الكبير والأوسط

(٢) تَهْذِيْبُ سُنَنِ أَبِي دَاودَ وَإِيضاحِ مُشكِلاتِهِ – ٢ / ٣٩٨

(٣) الأسماء والصفات ٢ / ٤٦ و ٢ / ٣٢٣

هذا بأمثلة : الأول : أنه ﷺ سمى الكعبة بيت الله تعالى ، واطلاق هذا يوهم عند الصبيان وعند من تقرب درجتهم منهم أن الكعبة وطنه ومثواه ، لكن العوام الذين اعتقدوا انه في السماء وان استقراره على العرش ينمحق ف حقهم هذا الإيهام على وجه لا يشكون فيه .

فلو قيل لهم : ما الذي دعا رسول الله ﷺ الى اطلاق هذا اللفظ الموهم المخيل الى السامع أن الكعبة مسكنه ؟ لبادروا بأجمعهم وقالوا : هذا انما يوهم في حق الصبيان والحمقى ، واما من تكرر على سمعه ان الله مستقر على عرشه فلا يشك عند سماع هذا اللفظ انه ليس المراد به ان البيت مسكنه ومأواه بل يعلم على البديهة ان المراد بهذه الإضافة تشريف البيت أو معنى سواه غير ما وضع له لفظ البيت المضاف الى ربه وساكنه.

أليس كان اعتقاده أنه على العرش قرينة أفادته علما قطعيا بأنه ما أريد بكون الكعبة بيته انه مأواه ، وان هذا انما يوهم في حق من لا يسبق الى هذه العقيدة ، فكذلك رسول الله ﷺ خاطب بهذه الألفاظ جماعة سبقوا الى علم التقديس ونفي التشبيه ، وانه منـزه عن الجسمية وعوارضها ، وكان ذلك قرينة قطعية مزيلة للإيهام ، لايبقى معه شك ، وان جاز ان يبقى لبعضهم تردد في تأويله وتعين المراد به من جملة ما يحتمله اللفظ ، ويليق بجلال الله تعالى .....

ثم أخذ الامام الغزالي رحمه الله كل توهم في هذه القضية ، وكل هذه النصوص يتضح بها ان السلف ما كانوا يعتقدون في الله ظواهر هذه المتشابهات ، بل كانوا فهموها على ما يليق بجلاله من التنـزيه وفق أساليب ألسنتهم . وليس هناك مذهب ثالث لدى الأمة منذ عهد النبوة الى يومنا هذا في هذه القضية الا مذهبين يعني التفويض والتأويل ، ولم يزغ عن هذين المذهبين الا هالك او غافل . وليس التأويل بدعة في الدين كمايرجه الجهلة الذين ارتدوا بلابس العلماء فانهم ذئاب لبسوا جلود الضأن . وقد كتب الامام فخر الدين الرازي رحمه الله في كتابه أساس التقديس فوائد انزال المتشابهات في القرآن الكريم . فقال : واعلم أن العلماء المحققين ذكروا أنواعا من الفوائد في انزال المتشابهات : الأول : أنه متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول الى الحق أصعب وأشق ، فزيادة المشقة توجب زيادة الثواب ؛ قال الله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾........ الى ان قال : الخامس : وهو السبب الأقوى ، ان القرآن مشتمل على دعوة الخاص ، والعوام تنبوا في أكثر الأمور عن ادراك الحقائق العقلية المحضة ، فمن سمع من العوام في أول الأمر اثبات موجود ليس بجسم ، ولا متحيز ولا مشار اليه ، ظن أن هذا عدم محض ، فوقع في التعطيل ، فكان الأصلح ان يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب مما تخيلوه وتوهموه ، ويكون مخلوطا بما يدل على الحق الصريح .

تم بحمد الله

ثبت

١. المعجم الكبير للطبراني
٢. سنن أبي داود للمامام سليمان بن الأشعث ، أبو داود السجستاني
٣. سنن الترمذى أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ،
٤. الملل والنحل لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني
٥. إحياء علوم الدين للامام محمد بن محمد أبو حامد الغزالي
٦. شرْحُ العقائد النسفي لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني
٧. المستدرك على الصحيحين للامام محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري
٨. تفسير الدر المنثور للامام جلال الدين السيوطي
٩. تفسير ابن أبي حاتم ، ابن أبي حاتم الرازي
١٠. تفسير ابن كثير للحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ -٧٧٤ هـــ]
١١. تفسير الخازن ، للامام الخازن ، أبو الحسن علي بن الشيحي
١٢. تفسير ابن عجيبة ، للامام ابن عجيبة
١٣. تفسير فتح القدير ، (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) لمحمد بن علي الشوكاني
١٤. مجموع فتاوي ابن تيمية لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني
١٥. تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي
١٦. اللوامع البينات شرح أسماء الله الحسنى فخر الدين الرازي
١٧. إتحاف السادة المتقين للامام محمّد بن محمّد ، أبو الفيض ، مرتضى، الزَّبيدي
١٨. المواقف
١٩. شرح العقائد العضدية
٢٠. الفرق بين الفرق للعلامة عبد القاهر البغدادي
٢١. أصول الدين
٢٢. الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية للعلامة أبو عذبة الحسن بن عبد المحسن
٢٣. طبقات الشافعية الكبرى للامام تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي
٢٤. تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام ابي الحسن الأشعري للامام الحافظ ابن عساكر الدمشقي
٢٥. نيل المرام شرح عقيدة الاسلام للامام عبد الله بن علوي الحداد
٢٦. الزواجر عن اقتراف الكبائر للامام ابن حجر الهيتمي
٢٧. مفتاح السعادة ومصباح السيادة للعلامة أحمد مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده
٢٨. تاريخ بغداد - للحافظ الخطيب البغدادي
٢٩. تاريخ الاسلام شمس الدين محمد الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـــ ١٣٧٤ م
٣٠. صحيح البخاري للامام محمد بن إسماعيل البخاري
٣١. صحيح مسلم للامام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري
٣٢. سنن الدارمي للامام عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي ،
٣٣. شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي

٣٤. وفيات الأعيان لابن خلكان
٣٥. الجام العوام عن علم الكلام للامام أبو حامد الغزالي
٣٦. الأسماء والصفات للامام أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي
٣٧. فتاوى الرملي للامام شهاب الدين الرملي
٣٨. فتح الباري لابن حجر العسقلاني
٣٩. شرح النووي على مسلم . للامام يحي بن شرف النووي
٤٠. إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لبدر الدين بن جماعة
٤١. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا علي القاري
٤٢. البرهان في علوم القرآن للامام الزركشي
٤٣. كتاب الاعتقاد للامام البيهقي
٤٤. أساس التقديس للامام فخر الدين الرازي
٤٥. سير أعلام النبلاء شمس الدين الذهبي
٤٦. تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) لابن جرير الطبري
٤٧. دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد لأبي بكر الحصني الدمشقي
٤٨. المجموع (شرح المهذب) للإمام النووي
٤٩. فتاوى العز بن عبد السلام لشيخ الاسلام العز بن عبد السلام
٥٠. عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعلامة بدر الدين العيني
٥١. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للامام حافظ الدين أبو البركات النسفي
٥٢. تفسير البغوي - معالم التنزيل للبغوي [المتوفى ٥١٦ هـ]
٥٣. البداية والنهاية للحافظ ابن كثير
٥٤. النكت والعيون للماوردي
٥٥. سنن ابن ماجه للامام أبوعبد الله محمد بن يزيد القزويني،
٥٦. شعب الإيمان للبيهقي
٥٧. تَهْذِيْبُ سُنَنِ أَبِي دَاودَ وَإِيضاحِ مُشكِلاتِهِ لابن قيّم الجوزية

المحتويات

طبع في
دار المركز للبحوث الاسلامية
جامعة مركز الثقافة السنية

الامام أبو الحسن الأشعري رحمه اللّٰه

امام أهل السنة والجماعة

ومنهجه الوسطي في العقيدة

الشيخ أبي بكر أحمد

أمين عام جمعية علماء أهل السنة والجماعة بالهند